الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة يحي فارس بالمدية

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في اللّغة والأدب العربي

بعنوان

الأغراض الخطابية في الاستفهامات القرآنية
دراسة في استفهامات ربّ البريّة

إعداد الطالب:

. عبد الكريم شعاب

إشراف الأستاذ:

. الصديق قوري

الموسم الدراسي:

1445-1446هـ/2024-2025م

مقدمة

مقدمة

الحمد لله ربّ العالمين، وصلّى الله وسلّم على نبيّه الأمين وعلى آله وصحابته والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، أمّا بعد:

ممّا لا شكّ فيه أنّ القرآن الكريم، كلامٌ معجز بألفاظه وأسلوبه الذي كان ولا يزال رمز البلاغة والفصاحة، والمقصود هنا هو فصاحة مفرداته، ومتانة نظمه، وانتظام دلالته، واستيفاؤه للمعاني، وحسن بيانه، ودقة تعبيره، لكن يستحيل على أي إنسان مهما أوتي من العلم والقدرة أن يحيط ببلاغته وخصائصه الفريدة.

وانطلاقا من هذه الحقيقة أردنا أن نقف على واحد من الأساليب الإنشائية الطلبية الواردة في القرآن ألا وهو الاستفهام، الذي بدوره ساهم مساهمة كبيرة في إبراز مواطن الإعجاز في القرآن، ليس لمجرد طلب الجواب وإنّما لتحقيق أغراض متعددة تهدف إلى تنبيه القلوب، و إثارة الوعي، والتأمّل في عظمة الخالق جلّ في علاه.

وفي هذا الإطار تندرج إشكالية هذا البحث وتكون على الشّكل التّالي:

ـ ما الاستفهام؟ وما أقسامه؟ وما أدواته؟

ـ ما الأغراض الخطابية للاستفهام؟ وما المعاني التي تخرج إليها أدوات الاستفهام عن معانيها الأصلية؟

ـ ما دلالة الخطاب القرآني؟ ما أنواع الدلالات؟ وما أثر السياق في توجيه الخطاب القرآني؟

ـ ما الآيات التي ورد فيها الاستفهام في القرآن الكريم؟ وما المراد من هذا الاستفهام الوارد فيها؟

وانطلاقًا ممّا سبق كان هدف هذا البحث هو إبراز وتحديد الأغراض البلاغية للاستفهام في القرآن، وكذا دراسة كيفية تأثير الاستفهام في فهم المعاني القرآنية وذلك

بتحليل الأساليب الاستفهامية من حيث الدلالة والمعنى وكذا السياق، وأيضا نُبيّن دور الاستفهام في التأثير على عقل المتلقي.

ولأهمية هذا البحث كان اختيارنا لهذا الموضوع بالذات هو كون الاستفهام أحد أهم الأساليب التي تقوم على الإقناع والتّأثير وذلك باعتماد طريقة الحوار وكثرة استخدامه في القرآن ممّا يؤدي بنا إلى السّعي لمعرفة كيف يستخدم القرآن هذا الأسلوب في طرح مواضيع عقدية ودعوية وتذكير للنفوس وغيرها. وهذا للوصول إلى فهم عميق للسياق القرآني وتحليله بدقّة.

ثم لمعالجة هذا البحث اتّبعنا منهجين أساسيين هما:

ـ المنهج الوصفي: الذي تناول الجانب النّظري من البحث، حيث نقوم بوصف المّادة العلمية من مفاهيم وأقسام وأغراض للاستفهام، وكذا جمع الآيات وتصنيفها حسب الأدوات المستعملة مثل(كيف...) وهذا في الجزء التّطبيقي.

ـ المنهج التّحليلي: حيث كان في الجانب التّطبيقي، فنقوم بتحليل كل استفهام وبيان أثره البلاغي حسب سياقه، وبيان العلاقة بين الأدوات الواردة والغرض المقصود.

فالمنهج الوصفي التّحليلي هو الأنسب لطبيعة هذا البحث.

ولأنّ هذا البحث يحاول دراسة وتحليل الاستفهام في القرآن، انطلقنا من خطة بحث تتمثل في: مقدمة وفصلين، تتلوهما؛ أمّا الفصل الأوّل فقد جاء تنظيريا للمفاهيم المتعلقة بالاستفهام، وأدواته، وأغراضه البلاغية. أمّا الفصل الثاني وهو الفصل التطبيقي جامع لما أمكن من الاستفهام الوارد في آيات القرآن الكريم، مع بيان مراد الله عزّوجل من هذا الاستفهام، أمّا الخاتمة فجاءت حوصلة لما ورد في هذا البحث.

ومن الصعوبات التي واجهتنا في هذا البحث تقارب وتماثل المعلومات وتشابهها، مع كثرة المراجع، والمشكل العويص هو الخشية والوجل من التهاون والتفريط في شرح الآيات وتحليلها.

الفصل الأوّل

الاستفهام

المبحث الأوّل: الاستفهام وأقسامه

المطلب الأوّل: الاستفهام لغة:

من فهم، ورد في لسان العرب فهم: الفهم: معرفتك الشيء بالقلب فهمه فهْما

وفهَماً وفَهامة: علمه؛ الأخيرة عن سيبويه. وفهمت الشيء: عقلته وعرفته. وفهمت فلانا وأفهمته، وتفهم الكلام: فهمه شيئا بعد شيء. ورجل فهِم سريع الفهم ويقال فهْم وفهَم وأفهمه الأمر وفهّمه إياه: جعله يفهمه. واستفهمه سأله أن يفهمه. وقد استفهمني الشيء فأفهمته وفهمته تفهيما.[1]

ـ كما ذُكر في التاج: (فهمه، كفرح فهما)، بالفتح، (ويحرك وهي أفصح، وفهامة)، وهذه عن سيبويه، (ويكسر وفهامية)، كعلانية: أي (علمه وعرفه بالقلب) فيه إشارة إلى الفرق بين الفهم والعلم، فإن العلم مطلق الإدراك، وأمّا الفهم فهو سرعة انتقال النفس من الأمور الخارجية إلى غيرها، وقيل: الفهم: تصوّر المعنى من اللّفظ، وقيل: هيئة للنفس يتحقق بها ما يحسن. وفي أحكام الآمدي: الفهم: جودة الذهن من جهة تهيُّئه لاقتناص ما يرد عليه من المطالب.

(وهو فهم، ككتف: سريع الفهم).

(واستفهمني) الشيء: طلب مني فهمه(فأفهمته إياه، وفهمته) تفهيما: جعلته يفهمه. (وانفهم) مطاوِع فهّمه تفهيما، وهو (لحن).

(وتفهّمه) إذا فهمه شيئاً بعد شيء.

الفهّامة، بالتّشديد: هو الكثير الفهم، مبالغة. وكذلك الفهيم، كأمير. وقد فهم فهما، فهو: فهيم، كعلم فهو عليم.

[1]. ابن منظور، لسان العرب، دار صادر،بيروت، ط3، 1414هـ، مادة (فهم)، ج 12، ص 459.

والتفاهم: التفهّم.[1]

ـ وفي مقاييس اللّغة: (فهم) الفاء والهاء والميم علم الشيء.[2]

ـ وفي معترك الأقران للسيوطي: إذا استفهمت عن الشيء فإنك تطلب من المستفهم منه، بذل الفائدة لك وتعريفه بالشيء المجهول لديك.[3]

ـ ويُذكر في أساس البلاغة: (فهم) تقول: من لم يؤت من سوء الفهم أتى من سوء الإفهام، وقلّ من أوتي أن يفهم ويُفهم، ورجل فهم سريع الفهم، ولا يتفاهمون ما يقولون. وتقول: من جزع من الاستبهام، فزع إلى الاستفهام.[4]

المطلب الثاني: الاستفهام اصطلاحا:

والاستفهام اصطلاحا: طلب العلم بشيء مجهول و غير متصور عند السائل، بأداة مخصوصة. وقد يُقصد به الجواب حقيقة، أو قد يكون لغرض مجازي.

ففي كتب البلاغة نجد أنّ تعاريف الاستفهام متعددة ومختلفة حسب كلّ عالم، وكلّ هذه التعاريف تؤول إلى مضمون مشترك، نذكر منها:

ـ الاستفهام: هو طلب حصول صورة الشّيء في الذهن بأدوات مخصوصة.[5] وأيضا هو طلب العلم بشيء لم يكن معلوما من قبل، وذلك بأداة من إحدى أدواته.[6] وعند

---

[1]ـ مرتضى الزّبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تح: مصطفى حجازي وآخرون، دار الهداية، ج33، ص224.

[2]ـ احمد بن فارس، مقاييس اللّغة، تح: عبد السلام هارون، دار الفكر، 1979م، ج4، ص457.

[3]ـ جلال الدين السيوطي، معترك الأقران في إعجاز القرآن، دار الفكر العربي، القاهرة، 1969م، ص431

[4]ـ الزمخشري، أساس البلاغة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1998م، ج2، ص38.

[5]ـ حسن بن إسماعيل الجناجيّ، البلاغة الصافية في المعاني والبيان والبديع، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، 2006م، ص208.

[6]ـ أحمد بن إبراهيم الهاشمي، جواهر البلاغة، تح: يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، بيروت، ص78.

المراغي هو طلب فهم شيء لم يتقدم لك علم به.[1] وكذا الاستفهام هو أحد أنواع الطلب استفعال، فهو طلب الفهم، وقد يخرج عن ذلك لتقرير وغيره.[2]

ويُفهم الاستفهام كذلك بأنّه نوع من أنواع الإنشاء الطلبي، والأصل فيه طلب الإفهام والإعلام لتحصيل فائدة عمليّة مجهولة لدى المستفهِم. وقد يُراد بالاستفهام غير هذا المعنى الأصلي له.[3]

ومن تعاريفه الدّقيقة نجد: الاستفهام هو طلب العلم بشيء لم يكن معلوما من قبل، وهو الاستخبار الذي قالوا فيه إنّه طلب خبر ماليس عندك، أي طلب الفهم. ومنهم من فرّق بينهما وقال إنّ الاستخبار ما سبق أوّلاً ولم يفهم حق الفهم، فإذا سألت عنه ثانيا كان استفهاما.[4] وبمعنى أوضح: هو معنى من معاني الكلام، كالأمر والنهي والدعاء والخبر الذي هو نقيضه، فإذا صدر ممّن يجهل ما سأل عنه قيل له "استفهام واستخبار، واستعلام، واسترشاد" ونحو ذلك من المعاني التي يطلب بها الإنسان معرفة مالا يعرفه كقولك: أزيد في الدار؟ وأقام عمرو؟ وأنت جاهل بكون زيد في الدار وبقيام عمرو، فإن صدر الاستفهام عن عالم بالشيء المستفهم عنه سمي "تقريرا، وتثبيتا، وتنبيها، وإنكارا، وتوبيخا".[5]

المطلب الثالث: أقسام الاستفهام:

يتفرّع الاستفهام إلى قسمين: الأوّل باعتبار الطّلب، أمّا الثّاني يكون باعتبار تأدية المعنى.

---

[1]- أحمد بن مصطفى المراغي، علوم البلاغة <البيان،المعاني،البديع>، دط، دن، دت، ص64.

[2]- بهاء الدين السّبكي، عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، تح: عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 2003م، ج1، ص423.

[3]- الميداني، البلاغة العربية، دار القلم، دمشق، ط1، 1996م، ج1، ص258.

[4]- أحمد الصيادي الرفاعي، أساليب بلاغية، وكالة المطبوعات، الكويت، ط1، 1980م، ص119.

[5]- ابن الأثير، البديع في علم العربية، تح: فتحي علي الدين، جامعة أم القرى، مكة المكرّمة، ط1، 1420هـ، ج2، ص215.

أ- باعتبار الطلب: ينتظم في ثلاثة محاور أساسية وهي:

- منها ما يُستفهم به عن الحكم: "وهو إثبات شيء لشيء، أو نفيه عنه" فتقول: هل تحب العلم؟ هل يسافر أخوك؟ هل تستيقظ الأمة؟

فأنت في هذه الأمثلة لم تستفهم عن مفرد، فلم تستفهم عن المحبة أو العلم، ولم تستفهم عن السفر أو عن أخيك، ولم تستفهم عن الاستيقاظ أو عن الأمة، وإنّما كان استفهامك عن الحكم الذي هو إثبات حبّك للعلم، وسفر أخيك، واستيقاظ الأمّة. وهذا الذي يعبِّرون عنه بالتّصديق، وهو إدراك النسبة بين أمرين.

- ما يُستفهم به عن مفرد؛ تقول مثلاً: ما البُرّ؟ فيقال لك: القمح. وما القَسورة؟

فيقال لك: الأسد. فأنت ترى هنا أنّ لا حكم، فلم نثبت شيئاً لشيء، وهذا ما يسمّونه التّصوّر.

- ما يُستفهم به عن هذين معاً، أعني: عن القضية التي فيها إثبات حكم أو نفيه، وهو التّصديق، وعن المفرد الذي هو التّصوّر.

وهذا القسم الذي يستفهم به عن التّصوّر والتّصديق هو الهمزة، أمّا الذي يستفهم به عن التّصديق وحده؛ فهو (هل)، وأمّا الذي يستفهم به عن التّصوّر وحده فهو باقي الأدوات.[1]

ب - باعتبار تأدية المعنى: يتفرّع إلى نوعين وهما:

[1]- فضل حسن عباس، البلاغة فنونها وأفناها علم المعاني، دار الفرقان، الأردن، ط2، 1989م، ص168،169.

ـ الاستفهام الحقيقي: وهو طلب المعرفة والعلم بشيء غير معلوم، يعني أنّه يكون على وضعه الأصلي. ويوجد منه في القرآن الكريم حسب أساليب حكاها القرآن عن البشر، كما جاء في سورة البقرة: " ادْعُ لَنا رَبَّكَ يُبَيّنُ لَنا مَا هِي...مَا لَوْنُها... "[69].[1]

فَهُم يسألون عن شيء غير معلوم عندهم ومجهول لديهم، بقولهم ادعُ لنا أي لأجلنا ربّك يبيّن لنا ما هي، ما حالها، وصفتها.[2] وغير ذلك من الأمثلة الكثيرة الواردة في القرآن.

ـ الاستفهام غير الحقيقي: وهو الذي يراد به غير المعنى الأصلي، عن طريق طرح السؤال الذي لا يُصرَّح فيه بالمراد... بغية استدراج المخاطَب لإدراكها... ويعلم أنّ السؤال قد طُرح لمجرّد إفهامه الغرض من السؤال.[3] وهذا القسم من الاستفهام هو الوارد بشكل كبير في القرآن الكريم.

المبحث الثاني:أدوات الاستفهام:

وهي حروف و أسماء، فالحروف هي الأصل والأسماء محمولة عليها[4]، لضرب من الفائدة ألا وهي الاختصار والإيجاز[5]، أمّا الحروف فهي: الهمزة، وهل. والأسماء نجد: ما، من، متى، أيّان، أين، كيف، أنّى، كم، أي. ثمّ إنّ هذه الأدوات تُجزّأ على ثلاثة أقسام وهي:

[1]ـ عبد الكريم محمود يوسف، أسلوب الاستفهام في القرآن الكريم غرضه ـ إعرابه، مطبعة الشام، دمشق، ط1، 2000م، ص170.

[2]ـ جمال الدين القاسمي، محاسن التأويل، تح: محمد باسل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1418هـ، ص325.

[3]ـ الميداني، البلاغة العربية، ج1، ص271.

[4]ـ ابن الأثير، البديع في علم العربية، ج2، ص217.

[5]ـ المرجع نفسه، ج2، ص230.

أ- القسم الأول: ما يُسْتَفْهَمُ به عن التّصوّر والتّصديق، وهو "همزة الاستفهام" فقط، وهو حرف لا يكون له محل من الإعراب في الجملة.

ب - القسم الثاني: ما يُستَفْهَمُ به عن التصديق فقط وهو لفظ "هل" وهو حرفٌ أيضاً، لا يكون له محل من الإعراب في الجملة.

ج - القسم الثالث: ما يُسْتَفهَمُ به عن التَّصوُّر فقط، وهي سائر أدوات الاستفهام، وهذه جميعها أسماء، وهي: مَا – مَنْ – أَيّ – كَمْ – كَيْفَ – أَيْنَ – أَنّى – مَتَى – أَيَّانَ.

فالتّصوّر: هو إدراك المفرد، ويُطْلَبُ بالاستفهام عن التّصوّر إدراك المسند إليه، أو إدراك المسند، لتعيينه، ويكون الجواب بتعيين المسؤول عنه، مُسنداً كان أو مُسنداً إليه.

مثل:

. أَضَرَبَ خالدٌ أَمْ أكل؟ والجواب: ضرب أو أكل.

. أَضُرِبَ زَيْدٌ أَم عَمْرو؟ والجواب: عَمْرو أو زَيْدٌ.

. متى يُفْطِرُ الصائم؟ والجواب: إذاغربت الشمس.

أمّا التّصديق: هو إدراك النّسبة الحُكميّة بين المسند والْمُسْنَد إليه، موجبةً كانت أو سالبة.

مثل:

. هل بُعِثَ خاتم المرسلين؟ والجواب: نعم، بعث.

. هل ظهر المسيح الدجال ؟ والجواب: لا، لم يظهر بَعْدُ.[1]

ولكل أداة من أدوات الاستفهام صفات وخصائص، نذكر تفصيلها:

[1]- الميداني، البلاغة العربية، ج1، ص258،259.

المطلب الأوّل: ما يُطلب به التّصوّر والتّصديق معا (الهمزة):

هذا الحكم يختص بالهمزة لكونها الأصل وباقي الأدوات نائبة عنها، ويطلب بها إمّا التّصديق، أي: إدراك النسبة الواقعة بين الطرفين ثبوتاً أو نفياً، وذلك عندما يكون السائل عالماً بأجزاء الإسناد، ويجهل الحكم أو مضمون الجملة، فهو يسأل ليقف على هذا الحكم.. وإمّا التّصوّر، أي: إدراك أحد أجزاء الجملة عندما يكون السائل عالماً بالحكم ولكنّه يجهل أحد أجزاء البناء. فإذا كانت الهمزة لطلب التّصديق، كان جواب الاستفهام بنعم أو لا، ولا يذكر معها معادل، ويليها غالباً الفعل إن وجد.. تقول: أنَجح خالد.. أعَمرو شجاع؟ إذا كنت تتصور أجزاء الكلام: «نجح وخالد وعمرو وشجاع» وتتصور النسبة بين أجزائه أي بين نجح وخالد، وبين عمرو و شجاع، ولكنّك تجهل وقوع هذه النسبة، أواقعة هي ومحقّقة أم غير واقعة، ولذا يجاب سؤالك بنعم أو بلا، أي بتحقق هذه النسبة ووقوعها أو بعدم تحقّقها.. ومن ذلك قول الشاعر:

أأترُك إن قلّت دراهم خالد زيارته؟ إني إذا للئيم

فالجواب هنا بالنفي أي: (لا) لن أترك زيارته إن قّل ماله، لأن السّؤال عن التّصديق، إذا المتكلم يعرف الفعل ويتصور الفاعل وهو المتكلم نفسه ويعلم المفعول وهو زيارة خالد، كما أنه يتصوّر النّسبة بين تلك الأجزاء، ولكنّه يتساءل أتقع منه أم لا تقع... فإن ذكر المعادل «أم» بعد همزة التّصديق هذه كانت أم منقطعة بمعنى بل وكانت بعدها همزة أخرى مقدرة، كما في قول الشاعر:

ولست أبالي بعد فقدي مالكاً أموتي نـاء أم هو الآن واقـع

فالسؤال بالهمزة عن النّسبة وأم للإضراب عن الكلام السابق، أي: عن هذا التساؤل، وبعدها همزة مقدرة يسأل بها سؤال آخر والمعنى: أموتي ناء؟ بل أهو الآن واقع؟.. وإذا كانت الهمزة للتّصور وجب أن يليها المستفهم عنه.. ويذكر للمستفهم عنه –غالباً– معادل بعد

«أم» المتّصلة وقد يستغنى عن ذكر المعادل إذا وجد ما يدلّ عليه.. ولا يكون جواب الاستفهام عندئذ بنعم أو بـلا، وإنّما يكون بتعيين المستفهم عنه..[1]

ـ المسئول عنه بالهمزة:

إذا ولي الهمزة جملة اسمية خبرها ليس فعلاً كقولك: (أمحمد ناجح؟) كان المطلوب بها التّصديق بالنّسبة وإذا وليها شيء غير ذلك كان المسئول عنه بها هو ما وليها سواء كان مسندًا إليه أو مسندًا أو شيئًا من المتعلقات كالمفعول والظّرف والمجرور والحال وغير ذلك. فمثال المسند إليه إذا ولي الهمزة قولك: (أأنت رسمت هذه الصورة؟). ومنه قول الله تعالى: (أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيم) [الأنبياء: 62]؛ لأنّهم لم يشكّوا في الفعل؛ وإنما الشكّ في الفاعل. ومثاله المسند إذا ولي الهمزة قولك: (أقابلت عليّا؟) فتبدأ بالفعل؛ لأنّك لم تشكّ في الفاعل؛ وإنّما الشّكّ في الفعل نفسه. وتكون الهمزة ـ إذا وليها فعل ـ لطلب التصديق بالنسبة ما لم تقم قرينة تدل على خلافه؛ كذكر المعادل؛ فإن كان المعادل هو النقيض كان المطلوب بما هو التّصديق كقولك: (أأكرمت خالدًا أو لا؟)؛ وإن كان غير النّقيض كان المطلوب بما هو التّصور؛ كقولك: (أمدحت خالدًا أم هجوته؟).

ومثال المفعول إذا ولي الهمزة قولك: (أكتابًا اشتريت؟)؛ إذا كان الشّكّ في المفعول بأن كنت تعلم أنّه اشترى شيئًا، ولكن لا تدري ما هو؟ وتقول في المجرور ـ إذا ولي الهمزة ـ (أفي المسجد صلّيت؟) وفي الظّرف: (أتحت الشجرة جلست؟)؛ وفي المفعول لأجله: (أخوفًا هربت؟)، وفي الحال: (أراضيًا تصدّقت؟)، على أن جواب إيلاء المسئول عنه الهمزة إنّما يجيء هكذا إذا لم تقم قرينة تدلّ عليه، فإذا قامت قرينة تدلّ عليه كذكر المعادل جاز

[1]ـ عبد الفتاح بسيوني، علم المعاني دراسة بلاغية نقدية، مؤسسة المختار، القاهرة، دط، دت، ج2، ص88،89.

تأخيره كقولك:(أقرأت كتابًا أم صحيفة؟)؛ فقد أخر المسئول عنه وهو: (كتابًا)؛ لأّن في ذكر المعادل وهو: (صحيفة) قرينة على أن المسئول عنه هو المفعول لا الفعل.[1]

ـ وبما أنّ الألف أصل أدوات الاستفهام، اختصت بأحكام وهي:

1ـ جواز حذفها، سواء تقدمت على (أم) كقول عمر بن أبي ربيعة:

بدا لي منها معصم حين جمّرت وكفٌّ خضيبٌ زُيّنَت ببنـــان

فـوالله ما أدري وإن كنت داريــاً بسبعٍ رميت الجمر أم بثمان

أراد أبسبع، أم لم تتقدّمها كقول الكميت:

طرِبت وما شوقاً إلى البيض أطرب ولا لعباً مني وذو الشيب يلعب

أراد أو ذي الشيب يلعب.

2ـ أنها تأتي لطلب التّصوّر ولطلب التّصديق.

3ـ أنها تدخل على الإثبات وعلى النفي؛ فالإثبات نحو قوله تعالى: " أَوَلَمَّا أصابتكم مُصيبَة..." [آل عمران:165]، أمّا النفي ففي قوله تعالى: " أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ " [الشرح:01].

4ـ تمام التصدير بدليلين:

ـ الأوّل: أنّها لا تذكر بَعْد(أم) التي للإضراب كما يُذكر غيرها.

[1]ـ حسن اسماعيل عبد الرازق الجناحيّ، البلاغة الصافية في المعاني والبيان والبديع، ص209،210.

ـ الثاني: أنّها إذا كانت في جملة معطوفة بالواو أو الفاء أو بِثُم قُدِّمت على العاطف تنبيهاً على أصالتها في التصدير، نحو قوله تعالى: " أَوَ لَمْ يَنْظُرُوا "، وأيضا: " أَفَلَمْ يَسِيرُوا "، وأيضا: " أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ آمَنْتُمْ بِهِ ".[1]

المطلب الثاني: ما يطلب به التّصديق فقط (هل):

يطلب بها التّصديق فقط –أي معرفة وقوع النسبة، أو عدم وقوعها لا غير– نحو: هل حافظ المصريون على مجد أسلافهم. ولأجل اختصاصها بطلب التّصديق لا يذكر معها المعادل بعد أم المتّصلة – فلذا امتنع – هل سعد قام أم سعيد: لأنّ وقوع المفرد وهو سعيد بعد (أم) الواقعة في حيز الاستفهام دليل على أن أم متّصلة، وهي لطلب تعيين أحد الأمرين ولابد حينئذ أن يعلم بها أوّلًا أصل الحكم. (وهل) لا يناسبها ذلك لأنّها لطلب الحكم فقط، فالحكم فيها غير معلوم، وإلا لم يُستفهم عنه بها، وحينئذ يؤدي الجمع بين (هل وأم) إلى التناقض.

لأنّ (هل) تفيد أن السائل جاهل بالحكم لأنّها لطلبه (وأم) المتصلة: تفيد أن السائل عالم به، وإنّما يطلب تعيين أحد الأمرين فإن جاءت أم كذلك، كانت منقطعة بمعنى بل التي تفيد الاضراب نحو هل جاء صديقك أم عدوك.

وقبح استعمال «هل» في تركيب هو مظنة للعلم بحصول أصل النسبة، وهو ما يتقدم فيه المعمول على الفعل، نحو: هل خليلا أكرمت، فتقديم المعمول على الفعل، يقتضي غالباً حصول العلم للمتكلم وتكون هل لطلب حصول الحاصل وهو عبثٌ.[2]

ـ صفات (هل) ووجه اختصاصها بالفعل:

لمّا كانت (هل) مختصة بطلب التصديق، وكانت ممحضة المضارع للاستقبال، كان تعلّقها بالفعل ودخولها عليه أكثر؛ حيث إنّ زمانية الفعل أظهر من زمانية الاسم إذا

[1]ـ ابن هشام، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تح: مازن المبارك/ محمد علي حمد الله، دار الفكر، دمشق، ط6، 1985م، ص19،20.

[2]ـ أحمد بن ابراهيم الهاشمي، جواهر البلاغة، ص80.

كان وصفًا، فالزمن في الفعل جزء مدلوله، ولكنّه في الاسم ليس كذلك. وأمّا أنّ اختصاصها بطلب التّصديق يقتضي مزيد تعلقها بالفعل فلأنّ التّصديق هو الحكم بالثبوت أو الانتفاء؛ وهما يتوجهان إلى المعاني والأحداث التي هي مدلولات الأفعال لا إلى الذوات التي هي مدلولات الأسماء. وأمّا أنّ تمحيضها المضارع للاستقبال يقتضي مزيد تعلّقها فأمره واضح؛ لأنّ تمحيضها المضارع للاستقبال دليل على تأثيرها فيه، وتأثيرها في المضارع دليل على أنّ لها مزيد تعلق بجنس الفعل وإلا لما أثّرت فيه، على أنّه لا يخفى أن كون (هل) لها مزيد اختصاص بالفعل يرجع فيه إلى استعمال العرب؛ ولم تكن في حاجة إلى مثل هذا التّعليل.

ولهذا فإنّها لا يعدل بها عن الفعلية إلى الإسمية إلا لنكتة بلاغية وتلك النّكتة البلاغية هي: (إبراز ما سيوجد في صورة الحاصل الموجود اهتمامًا بشأنه؛ وذلك أدلّ على كمال العناية به من إبقائه على أصله).

ومن هنا: كان قول الله تعالى: (فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ) [الأنبياء: 80] أدلّ على طلب حصول الشكر من قولنا: (فهل تشكرون؟) ومن قولنا: (فهل أنتم تشكرون؟)؛ مع ما فيه من التأكد بالتكرير لأنّه على تقدير: فهل تشكرون تشكرون؟ ثم حذف الفعل الأوّل؛ فانفصل ضميره؛ لأنّ الآية الكريمة قد أبرزت ما سيحصل –وهو مفاد الجملة الفعلية– في صورة الحاصل الثابت –وهو مفاد الجملة الاسمية– وذلك أدلّ على كمال العناية به من إبقائه على أصله.

وأيضًا: فإن القول الكريم في الآية السابقة أدلّ على طلب الشكر من قولنا: (أفأنتم شاكرون؟) ومن: (أفأنتم تشكرون؟) ومن: (أفتشكرون؟)؛ وذلك لأنّ (هل) للفعل أدعى من الهمزة وألزم له منها، فتركه معها أدلة على كمال العناية بحصوله من تركه مع الهمزة؛ لأنّ الهمزة ليس لها مزيد تعلق بالفعل؛ ولهذا لم يحسن أن يقال: (هل هشام معتزم بزيارتك؟) إلّا من البليغ؛ لأنّه هو الذي يراعي النكت البلاغية ويأتي بالكلام على مقتضى المقام.[1]

ـ و(هل) نوعان: بسيطة، ومركبة:

[1]. حسن اسماعيل عبد الرزاق الجناحيّ،البلاغة الصافية في المعاني والبيان والبديع، ص211،212.

فالبسيطة: هي التي يستفهم بها عن وجود الشيء في نفسه، أو عدم وجوده على معنى تحققه في الخارج، أو عدم تحققه فيه، بحيث يكون لفظ الوجود، أو عدم الوجود، أو ما في معناهما محمولا على مدخولها كقولك: (هل العنقاء موجودة؟) أو (هل هي غير موجودة؟) أي هل هي ثابتة في الخارج متحققة فيه، أو غير متحققة فيه؟ بأن كانت أمرًا اعتباريًا وهميا. ومعنى كونها بسيطة: أن المذكور فيها شيء واحد غير لفظ "الوجود".

أو ما في معناه "كالعنقاء" في المثال المذكور، و"كمحمد" في نحو قولك: (هل محمد موجود؟)، و"كالكرم" في قولك: (هل الكرم متحقق؟) فالمذكور في الكلام غير لفظ الوجود أو التحقق، هو "العنقاء" في المثال السابق و"محمد" في المثال الثاني و"الكرم" في المثال الثالث.

والمركّبة: هي التي يستفهم بها عن وجود شيء لشيء، أو عدم وجوده له بمعنى ثبوته له، أو عدم ثبوته كقولك: (هل الشمس طالعة؟)، أو (هل هي غير طالعة) أو (هل علي كريم؟) أو (هل هو غير كريم) فليس الغرض: الاستفهام عن وجود "الشمس" في ذاتها، أو عن وجود "علي" في نفسه، كما في (هل) البسيطة، إنّما الغرض، الاستفهام عن ثبوت شيء لهما. هو (الطلوع) للشمس، و(الكرم) لعلي.

ومعنى كونها مركبة : أن المذكور فيها شيئان غير لفظ "الوجود أو ما في معناه"، وهذان الشيئان هما "المسند والمسند إليه"، "كالشمس والطلوع" في المثال الأوّل، و"علي والكرم" في المثال الثاني.[1]

المطلب الثالث: مايطلب به التّصور فقط:

وهذا القسم يكون في بقية أدوات الاستفهام وهي بالتفصيل:

مَـا: وتأتي اسماً من أسماء الاستفهام، ومعناها (أيُّ شيء؟) وهي للاستفهام عن غير العقلاء، والمطلوب بها أحد أمور ثلاثة:

[1]- حامد عوني، المنهاج الواضح للبلاغة، المكتبة الأزهرية للتراث، مصر، دط، دت، ج2، ص100.

ـ الأمر الأول: إيضاح الاسم وشرحه، مثل: ما النُّضار؟ وجوابه: الذهب، أو الخالِصُ من كلِّ شيء. ما اللُّجَيْن؟ وجوابه: الفضّة. قال تعالى: (قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ العالمين * قَالَ رَبُّ السماوات والأرض وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُمْ مُّوقِنِينَ) [الشعراء: 23ـ24]. في هذا النصّ نلاحظ أنّ سؤال فرعون عن ربّ العالمين هو سؤالٌ عن شرح الاسم، أي: ما معنَى "رَبّ العالمين"، إنّه لا يجهل معنى كلمة "رَبّ" ولا معنى كلمة "العالمين" لكنّه سأل عن الاسم المؤلّف من "ربّ العالمين"، فشرح له موسَى عليه السلام بقوله: "رَبُّ السَّمَاواتِ والأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا".

ـ الأمر الثاني: بَيَانُ حقيقةِ الْمُسَمَّى، مثل: ما الْحَسَد؟. وجوابُه مثلاً: تَمَنِّي زَوالِ النعمة عن المحسود. ما الكِبْرُ؟. وجوابُه: "بَطَرُ الْحَقِّ وَغْمْطُ النّاس".

ـ الأمر الثالث: بيان صفات المسؤول عنه وأحواله الخاصة أو العامة، مثل: (وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ ياموسى * قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا على غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أخرى) [طه: 17ـ18]. وكذلك أَنْ تَقُولَ لقادم عليكَ وأنت لا تعرف صفاته: مَا أَنْت؟. قول المتنبّي في مَدْح سيف الدولة:

لَيْتَ الْمَدَائِحَ تَسْتَوْفِي مَنَاقِبَهُ فَمَا كُلَيْبٌ وَأَهْلُ الأَعْصُرِ الأُوَلِ؟

أي: فَمَا صفاتُ كُلَيْب بجانبِ صفاتِهِ، وكان العربُ يقولون: أعزُّ من كليب بن وائل. ومَا صفاتُ الملُوكِ الأوّلين بجانب صفاته ومناقبه، ومرادُه التعظيم من مناقبه وصفاته، والتقليل من صفات السّابقين من سادَة العرب.[1]

مَـن: يطلب بها تعيين الشخص العالم كقولك (من هنا؟)، فيقال (زيد)، ونحوه ممّا يفيد تشخيصه، وقال السكاكي: يُسأل بـ(ما) عن الجنس والوصف تقول (ما عندك؟) أيْ أيُّ أجناس الأشياء، فيقال (ثوب) ونحوه و(ما زيد؟) أي ما صفته؟ فيقال (الكريم) ونحوه، ويُسأل بـ(من) عن الجنس من ذوي العلم، تقول (من جبريل؟) أي أبشر أم ملك أم جني، كما قال فرعون (فَمَن رَّبُّكُمَا يَا مُوسَى) [طه: 39] أي من أيّ جنس هو، قال في التلخيص:

[1]ـ الميداني، البلاغة العربية، ج1، ص263،264.

وفيه نظر وهو معنى قولي (وما ارتضي) أي إنّه لا يسلم أنّه للسؤال عن الجنس وأنّه يصح في جواب من (جبريل؟) ملك، بل جوابه ملك يأتي بالوحي وكذا وكذا ممّا يفيد تشخيصه، فأمّا السؤال بها عن الوصف فلم يذكره في التلخيص، وقال بعض الشارحين إنّه يُسأل بها عن الوصف كما يُسأل ب(ما)، إذ لا فرق بينهما، إلا أنّ (ما) لما لا يعقل، قال الشيخ بهاء الدين: وهذا فرق يلجئ إلى أنّه لا يُسأل بها عن الوصف لأنّ الوصف ليس بعاقل، فلا يُسأل عنه بـ(من) التي هي للعاقل وهذا معنى قولي في أوّل الأبيات الآتية لزيادتي (لا وصفه).[1]

ـ فائدة: " من" صالحة للمذكر والمؤنث، وللمفرد والمثنى والمجموع، هذا حظ النحوي منها، وحظ الأصولي أنّها للعموم. قال السكاكي فهل للعموم في جميع هذه المراتب أو في الآحاد، وتظهر فائدة ذلك إذا قال من دخل داري من هؤلاء فأعطه درهما، فإن قلنا بالأول أخذ كل واحد درهما، وإن قلنا بالثانى أخذ كل واحد درهما بدخوله ونصف درهم بدخوله مع آخر، وإن دخل ثلاثة فعلى الأوّل يعطيهم ثلاثة لكل واحد درهم، وعلى الثانى يعطيهم ثلاثة؛ بدخول الآحاد لكل واحد درهم، ودرهما بدخول الثلاثة لكل واحد ثلثه وثلاثة، لأنّ صفة الأعمية فيهم ثلاث مرات فيستحقون بها ثلاثة لكل واحد درهم فمجموع ما يستحقونه سبعة، وعلى هذا القياس قال: ولم أره منقولا ولا مخلص عنه فيما يظهر لى الآن، إلا أن يقال: لا عموم لها إلا فى مراتب الأفراد، ولكن الأسبق إلى الفهم أنّها عامة فيما يصلح، وهى تصلح للأفراد ولمجموع الأفراد، ولكل مرتبة من مراتب المثنى والمجموع، وفيه احتمال آخر، وهو أنّه لا يعطى المجموع إلا درهما ومأخذه ما حققناه من أن "من" لا تدل على الأفراد، بل على الماهية مجردة عن وحدة وتعدد، ويظهر أثر ذلك فى النفي فإذا قلت: لا تشتم من يشتمك فالظاهر أن المراد الحقيقة ومعناه غير معنى لا تشتم كل من شتمك، إذا عرف ذلك.[2]

---

[1]ـ جلال الدين السيوطي، شرح عقود الجمان في المعاني والبيان، تح: ابراهيم الحمداني، لقمان الحبّار، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2011م، ص138،139.

[2]ـ بهاء الدين السُّبْكي، عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، ج1، ص443،444.

متـى: كلمة استفهام عن وقت أمر، وهو اسم مُغْنٍ عن الكلام الكثير المتناهي في البعد والطول، وذلك أنّك إذا قلت متى تقوم أغناك ذلك عن ذكر الأزمنة على بُعدها،[1] ويُسْتَفْهَمُ بها عن الزمان ماضياً كان أم مستقبلاً، فلها محلٌّ في الإعراب في الجملة، كسائر الأسماء، مثل: قول الله عزّ وجلّ: (أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ الجنة وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الذين خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ البأسآء والضرآء وَزُلْزِلُواْ حتى يَقُولَ الرسول والذين آمَنُواْ مَعَهُ متى نَصْرُ الله ألا إِنَّ نَصْرَ الله قَرِيبٌ) [البقرة: 214]. وأيضاً قَالُوا: متى شمسُ الهِدايَةِ أشرَقَتْ؟ فقُلتُ: بعامِ الفيل في الحرمِ المَكّي.[2]

أيّـان: يُستفهم بها عن الزمان، تقول: أيان تجئ، وقصرها المصنف على المستقبل فى هذا المختصر، ولكنّه فى الإيضاح أطلق أنّها للزمان، وكذلك أطلقه السكاكي، وقد مثّلاه بـأيّان جِئْت وهو صريح في أنّها تُستعمل للماضي، فهو مخالف لكلامه هنا، لكن ما ذكره هنا هو الصواب، وهو الذي جزم به ابن مالك والشيخ أبو حيان، ولم يذكرا فيه خلافا، وحمل ذلك على ما إذا وَليها فعل دون ما إذا وقع بعدها اسم كقوله تعالى: (أَيَّانَ مُرْساها) [النازعات: 42] وفيه نظر؛ لأنّ مرساها المراد به المستقبل، فكذلك ما أشبهه، وقوله: قيل: وتستعمل فى مواضع التفخيم، ينبغي أن يقول: لا تستعمل إلّا في مواضع التفخيم كما هو مقصوده على ما يظهر، وقد نقله في الإيضاح عن علي بن عيسى الربعي، ومثَّله المصنف بقوله تعالى: (أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ) [الذاريات: 12]، (أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيامَةِ) [القيامة:6] قلت: وفي تمثيل المصنف بهذه الآية نظر، فإنّه كلام محكى عن الإنسان الذي يحسب أن لن نَجْمَعَ عِظامَهُ، وذلك لا يقصد تفخيم يوم القيامة الذي لا يقر به، والمشهور عند النحاة أنّها(كمتى) تستعمل فى التفخيم وغيره.[3]

[1]- ابن منظور، لسان العرب، ج15، ص474.

[2]- الميداني، البلاغة العربية، ج1، ص256.

[3]- بهاء الدين السبكي، عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، ج1، ص449.

أيـن: موضوعة للاستفهام ويطلبُ بها تعيينُ المكان نحو: (وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمُ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ) [الأنعام:22]،[1] فالسؤال عن المكان يكون إمّا استفهامًا حقيقا، نحو (أين أخوك؟) أم مجازيًا، وذلك نحو قوله تعالى: (وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُون) [القصص: 74]، فإنه لا يسأل عن مكانهم حقيقة وإنّما هو لتبكيتهم.[2] وكذلك إذا سبقته "مِنْ" كان سُؤالاً عن مكان بُروزِ الشيءِ، نحو (من أينَ قَدِمتَ؟). وإن تَضمَّنَ معنى الشرط جزم الفعلين مُلحقاً بِـ "ما الزائدة للتوكيد"، كقوله تعالى: (أَيْنَما تَكُونوا يُدْرِكْكُم المَوْتُ) [النساء: 78]، أو مُجرداً مِنها، نحو (أينَ تَجلسْ أَجلسْ).[3]

كيـف: ويُستفهم بكيف الاستفهامية عن الحال، تقول: (كيف زيد أصحيح أم سقيم؟ طويل أم قصير؟) وفي كلام بعضهم أنّه إنّما يسأل بها عن الصفات الغريزية لا الخارجية، وإنّه لا يقال: (كيف زيد أقائم أم قاعد؟) قلت: ويرد عليه قوله تعالى: (نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ) [البقرة: 223]، فإنّه بمعنى فأْتوا حرثكم كيف شئتم على ما ذكره هو، وهي حال غير غريزية، وفي كلام النحاة وغيرهم أن معنى كيف: على أي حال، ولا يتوهم من هذا أن كيف أخصّ من أي. قال بدر الدين بن مالك: ليست (كيف) موضوعة لهذا المعنى، بل تستلزمه، ألا ترى أن جوابها إنما هو بالصفات لا بالمصادر.[4]

أنّـى: وتأتي لمعان عدّة، وتفصيل ذلك أنّها تُستعمل تارة بمعنى (كيف) نحو: أنّى يتوقع المرء النجاح في عمله وهو لا يعمل له؟ وتارة تستعمل بمعنى (من أين) نحو: (كُلَّمَا

---

[1]- أحمد بن ابراهيم الهاشمي، جواهر البلاغة، ص82.

[2]- فاضل السامرائي، معاني النحو، دار الفكر، الأردن، ط1، 2000م، ج4، ص256.

[3]- مصطفى الغلاييني، جامع الدروس العربية، المكتبة العصرية، بيروت، ط28، 1993م، ج1، ص143.

[4]- بهاء الدين السبكي، عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، ج1، ص448.

دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ **أَنّى** لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّه)، وتارة تستعمل بمعنى (متى) نحو: (أنى جئت؟ أو أنى تجيء؟).[1]

كَمْ: اعْلَم أَن (كم) اسم يَقع على العدد، ولها موضعان: تكون خَبرا، وَتَكون استفهاما فمجراها مجْرى عدد منون وذلِك قولك: كم رجلا عنْدك؟ وكم غُلَاما لَك؟ تُرِيدُ: أعشرون غُلَاما أم ثلاثُون، وما أشبه ذَلك؛ كما أَنّك إذا قلت: أَيْن عبد الله؟ فَمَعْنَاه: أفي مَوضِع كَذَا أَو فى مَوضِع كَذَا؟ وَإِذا قلت: مَتى تخرج؟ فَإِنَّمَا مَعْنَاهُ: أوقت كذا أم وَقت كذا؟ إِلَّا أنّه يجوز لَك في (كم) أَن تفصل بينهَا وَبين مَا علمت فِيهِ بالظرف فتَقول: كم لَك غُلَاما؟ وَكم عنْدك جَارية؟ وإنّما جازَ ذَلِك فِيهَا؛ لأنّه جعل عوضا لما منعته من التّمكُّن وأمّا (عشرُون) ونحوها فلا يجوز أَن تَقول فِيهَا: عشرُون لَك جَارِيَة، وَلَا خَمْسَة عشر لَك غلاما إِلَّا أَن يضْطَر شَاعِر؛ كَمَا قَالَ حِين اضْطر:

على أنني بعد مَا قد مضى ثَلَاثُونَ للهجر حولا كميلا

وَقَالَ الآخر:

في خمس عشرَة من جُمَادَى لَيْلَة لَا أَسْتَطِيع على الْفراش رقادى

وتقول: كم دِرْهَم لَك؟ لِأَن التَّمْيِيز على غَيره فَكَأَن التَّقْدِير: كم دانقا دِرْهَم لَك، وَكم قيراطا، وَمَا أشبه ذَلِك؟ كَمَا أَنَّك إِذا قلت: كم غلمانك؟ فَإِنَّمَا الْمَعْنى: كم غُلَاما غلمانك؟ وَلَا يكون فى قَوْلك: كم غلمانك؟ إِلَّا الرّفْع؛ لِأَنَّهُ معرفَة، وَلَا يكون التَّمْيِيز بالمعرفة فَإِذا قلت: كم غلمانك؟ فتقديره من الْعدَد الْوَاضِح: أعشرون غُلَاما غلمانك؟ فَإِن قلت: أعشرون غلمانك؟ فَذَلِك مَعْنَاهُ، لِأَن مَا أظهرت دَلِيل على مَا حذفت وَتقول: بكم ثَوْبك مصبوغ؟؛ لِأَن التَّقْدِير: بكم درهما ثوبك مصبوغ؟ وَتقول: على كم جذعا بَيْتك مبْني؟ إِذا جعلت (على كم) ظرفا لمبني رفعت الْبَيْت بِالِابْتِدَاءِ، وَجعلت (المبني) خَبرا عَنهُ، وَجعلت (على كم) ظرفا لمبني فَهَذَا على قَول من قَالَ: فى الدَّار زيد قَائِم، وَمن قَالَ: فى الدَّار زيد قَائِما، فَجعل (فى الدَّار) خَبرا، قَالَ: على كم جذعا بَيْتك مَبْنِيا؟ إِذا نصب مَبْنِيا جعل (على كم) ظرفا

[1]- عبد العزيز عتيق، علم المعاني، دار النهضة العربية، بيروت، ط1، 2009م، ص95.

للبيت؛ لِأَنَّهُ لَو قَالَ لَك: على كم جذعا بَيْتك؟ لاكتفى؛ كَمَا أَنه لَو قَالَ: فى الدَّار لاكتفى فَهَذِهِ (كم) الَّتِى تكون للاستفهام.[1]

أيّ: ويُطلب بها تعيين أحد المتشاركين في أمر يعمهما، نحو قوله تعالى: أَيُّ الْفَرِيقينِ خَيْرٌ مَقاماً؟ أي أنحن أم أصحاب محمد؟.[2]

وهي بحسب ما تضاف إليه، فإن أضيفت إلى مكان كانت مكاناً، وإن أضيفت إلى زمان كانت زمانا، وإن أضيفت إلى غيرهما كانت بحسب ما أضيفت إليه، وذلك نحو قوله تعالى: (وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا) [التوبة: 124]، وقوله: (وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوت) [لقمان: 34]، وقوله: (وَسَيَعْلَمُ الذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُون) [الشعراء: 227]، ونحو (أي يوم سافر خالد) وما إلى ذلك.[3]

[1]- المبرّد، المقتضب، تح: عبد الخالق عظيمة، عالم الكتب، بيروت، ج3، ص55.

[2]- عبد العزيز عتيق، علم المعاني، ص95.

[3]- فاضل السامرائي، معاني النحو، ج4، ص256.

المبحث الثالث: الأغراض الخطابية للاستفهام:

كما سبق وقلنا أنّ الغرض الأصلي للاستفهام هو طلب معرفة أمر لم يكن معلوما عند الطلب، إلاّ أنّ الاستفهام يخرج عن غرضه الأصلي إلى أغراض أخرى نعرفها من خلال سياق الكلام، ومنها:

المطلب الأوّل: الأمـر:

ودلالتها عليه من باب الإطلاق والتّقييد على سبيل المجاز المرسل لأن الاستفهام هو: طلب الإقرار بالجواب مع سبق جهل المستفهم؛ فاستعمل في مطلق الطّلب، ثم استعمل في الطّلب على سبيل الاستعلاء، وهو الأمر، ومنه قوله تعالى: (فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُون) [الأنبياء:107]، وقوله تعالى: (فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرْ) [القمر:15].[1] وهو يعني أمر حقيقة في القول الطالب للفعل إيجابا، وكذا ندبا على المشهور، وصيغته نحو: أكرم زيداً، والمقترن باللام، نحو: ليحضر زيد، واسم الفعل نحو: نزال ودراك. قال: (والأظهر أن هذه الصيغ موضوعة لطلب الفعل استعلاء). وينبغي أن يقول: طلبا جازما؛ فإنّه يدخل في عبارته المندوب، والصحيح أن صيغة أفعل موضوعة للإيجاب، وإن كان الأمر الأعم منه ومن المندوب. والمصنف–القزويني– لم يفرق بين الأمر وبين صيغة أفعل.[2]

المطلب الثاني: النهـي:

استعمال الاستفهام في النهي نظير استعماله في الأَمْر، لأنَّ الأمر بالشيءِ نهْيٌ عن ضدّه، وبالعكس.

أمثلة: ـ قول الله عزَّ وجلّ بشأنِ الحث على قتال أئمة الكُفر: (أَتَخْشَوْنَهُمْ فاللّه أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ) [التوبة: 13]. أي: لا تخشوهم، لأنّ الله ناصركم عليهم.

[1]ـ حسن اسماعيل عبد الرزاق الجناحيّ، البلاغة الصافية في المعاني والبيان والبديع، ص215.

[2]ـ بهاء الدين السبكي، عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، ج1، ص462.

ـ قول الله عزَّ وجلَّ: (ياأيها الإنسان مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الكريم * الذي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ) [الانفطار: 6 – 7]. أي: لا تغتَرَّ بربّك.

ـ وأيضا قول الشاعر:

أَكُلَّ امْرِىءٍ تَحْسَبِينَ إمْرأً وَنَارٍ تَوَقَّدُ في اللَّيْلِ نَاراً؟

أي: لاَ تَحْسَبي ذلك.[1]

المطلب الثالث: التعظيم:

وذلك بالخروج بالاستفهام عن معناه الأصلي واستخدامه في الدلالة على ما يتحلّى به المسؤول عنه من صفات حميدة كالشجاعة والكرم والسيادة والملك وما أشبه ذلك، ومن أمثلته:

من فيكم الملك المطاع كأنّه تحت السوابغ تبّع في حمير؟

أضاعوني وأيّ فتى أضاعوا لـيوم كريهة وسـداد ثــغر؟

من للمحافل والجحافل والسّرى؟ فقـدت بفقدك نيـرا لا يطلـع

ومن اتخذت على الضيوف خليفة؟ ضاعوا، ومثلك لا يكاد يضيّع.[2]

المطلب الرابع: النّفـي:

وقد يأتي الاستفهام بمعنى النفي، كما في قوله تعالى: (هل جزاء الإِحْسَانِ إِلا الإِحْسَانُ) [الرحمن:60] والمعنى: ما جزاء الإحسان إلا الإحسان، تلك حقيقة مقررة لا يعارض فيها عاقل، ولكن فرق بين الدلالة عليها بالاستفهام والدلالة عليها بطريق النفي المعهود، إن في الاستفهام تحريكاً للفكر، وتنبيهاً للعقل وحثاً على النظر والتأمل، وهذا هو الفرق بين النفي الصريح وبين النفي عن طريق الاستفـهام انظر إلى قوله تعالى: (سَيَقُولُ

[1]ـ الميداني، البلاغة العربية، ج1، ص291.

[2]ـ عبد العزيز عتيق، علم المعاني، ص105.

لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الأَعْرَابِ شغلتنا أَمْوَالُنَا وأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا) [الفتح:11]، فالمعنى لا محالة: لا أحد يملك لكم من الله شيئاً، ولكن الدلالة على هذا المعنى بالاستفهام فيها تنبيه لهؤلاء المخلفين وحث لهم على تدبر أحوالهم ومراجعة أنفسهم والانقياد للحق واتباع سبيل الرشاد. وكذا القول في الآيات الكريمة: (ومن أظلم ممن منع مَسَاجِدَ اللَّهِ أَن يُذكر فِيهَا اسْمُهُ وسعى فِي خَرابها) [البقرة:114] (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كذبًا) [العنكبوت:68]، (فَاصْبِرْ كَمَا صَبر صَبرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَومَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلا سَاعَةً مِن نَهَارٍ بَلَاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ) [الأحقاف:38]. فالدلالة على النفي بالاستفهام في الآيات الكريمة تمتاز عن الدلالة عليه بطريقه المعهود؛ إذ النفي الصريح خال من التحريك والتنبيه وإثارة المشاعر ، أمّا الاستفهام ففيه بعث على النظر والتأمل وحث على التفكير والتدبر حتى يتبين للمخاطب وجه الخطأ فيقلع عنه ويبتعد... ومن الاستفهام الدال على النفي قول البحتري:

هل الدهر إلا غمرةٌ وانجلاؤُها وشيكا وإلا ضيقةٌ وانفراجُها

ـ فالشاعر أراد بالاستفهام أن يحث المخاطب على النظر والتأمل حتى يدرك هذه الحقيقة الواقعة ويعيها فكره، وهي أنّ الدهر ليس إلاّ شدة سرعان ما تنجلي، وضيقاً يعقبه فرج. ومثله قول الآخر :

هل الدهر إلا ساعة ثم تنقضي بما كان فيها من بلاء ومن خفض.[1]

المطلب الخامس: الإنكـار:

من الاستفهام ما سمّي استفهاما إنكاريا إذ يخرج الاستفهام عن معنى الطّلب إلى معنى استنكار وقوع ما هو استفهام عنه في الظاهر، كأن يقول قائد لأحد جنوده المتقاعسين: أتخون وطنك؟ أتضحي بشرفك؟ ومنه قوله تعالى: (أَلِرَبِّكَ الْبَناتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ)

[1]- عبد الفتاح بسيوني، علم المعاني دراسة بلاغية نقدية، ص110،111.

[الصافات: 149] أو (أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً) [الحجرات: 12]. ومن لوازم الاستفهام الإنكاري هذا أن يكون المستفهم عنه غير واقع، أو أن يكون مدّعيه كاذبا.[1]

والاستفهام الإنكاري يكون على أوجه، فهو:

ـ إمّا إنكار للتوبيخ على أمر وقع في الماضي، بمعنى ما كان ينبغي أن يكون ذلك الأمر الذي كان، نحو قولك لمن صدر منه عصيان: (أعصيت ربّك؟).

ـ وإمّا إنكار للتوبيخ على أمر واقع في الحال أو خيف وقوعه في المستقبل، والمعنى على هذا: لا ينبغي أن يكون هذا الأمر، نحو: (أتعصي ربّك؟) تقول هذا لمن هو واقع في المنكر أو لمن همَّ أن يقع فيه، على معنى: لا ينبغي أن يحدث منك حالا أو يصدر عنك استقبالا. ويسمى الإنكار في الحالين السابقتين الإنكار التوبيخي.

ـ وإمّا إنكار للتكذيب في الماضي، بمعنى (لم يكن)، أي أنّ المخاطب إن ادّعى وقوع شيء فيما مضى، أو نُزِّل منزلة المدعي أتى بالاستفهام الإنكاري تكذيبا له في دعواه، نحو قوله تعالى لمن اعتقدوا أن الملائكة بنات الله: (أَفَأَصْفاكُمْ رَبُّكُمْ بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلائِكَةِ إِناثاً) [الإسراء:40] أي: أخصكم ربكم بالذكور وخصّ نفسه بالبنات؟ أي أنّه لم يفعل هذا لتعاليه عن الولد مطلقا.

ـ وإمّا إنكار للتّكذيب في الحال أو في المستقبل، بمعنى (لا يكون) نحو قوله تعالى على لسان نوح عليه السّلام عندما دعا قومه إلى التوحيد وكذبوه: (قالَ يا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي، وَآتانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ، أَنُلْزِمُكُمُوها وَأَنْتُمْ لَها كارِهُونَ) [هود:88] أي أنلزمكم تلك الحجة البينة على أني رسول الله؟ أي أنكرهكم على قبولها، والحال أنكم لها كارهون؟ يعني لا يكون هذا الإلزام. فالإنكار في هذين الحالين إنكار لأمر كاذب، ولذلك يسمى في الحالين الإنكار التكذيبيّ. ويجب في الاستفهام الإنكاري أن يقع المنكر بعد همزة الاستفهام. وقد يكون المنكر هو (الفعل) نحو قوله تعالى: (وَإِذْ قالَ إِبْراهِيمُ

[1]ـ محمد قاسم، محي الدين ديب،علوم البلاغة، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس، ط1، 2003م، ص297.

لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْناماً آلِهَةً) [الأنعام:74] فالمنكر هو نفس الفعل، أي اتخاذ الأصنام آلهة. ونحو قوله تعالى على لسان إبراهيم عند ما أسرع إليه قومه بعد أن كسّر أصنامهم: قالَ: (أَتَعْبُدُونَ ما تَنْحِتُونَ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَما تَعْمَلُونَ) [الصافات:95]، ونحو قول امرئ القيس:

أيقتلني والمشرفيّ مضاجعي ومسنونة زرق كأنياب أغوال؟

وقول آخر:

أأترك إن قلت دراهم خالد زيـارته؟ إنّي إذن للئيـم

وقد يكون المنكر هو (الفاعل) في المعنى، كقوله تعالى: (أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ) [الزخرف:32] أي ينكر عليهم أن يكونوا هم المتخيرين للنبوة من يصلح لها المتولين لقسم رحمة الله التي لا يتولاها إلّا هو بباهر قدرته وبالغ حكمته. وعدّ الزمخشري من هذا الضرب قوله تعالى: (أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ) [يونس:99]، وقوله تعالى أيضا: (أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْيَ) [يونس:43] على أن المعنى: أفأنت تقدر على إكراههم على الإيمان؟ و أفأنت تقدر على هدايتهم على سبيل القسر والإلجاء؟ أي إنّما يقدر على ذلك الله لا أنت.

وقد يكون المنكر (المفعول) نحو قوله تعالى: (أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا) [الأنعام:14]، وقوله تعالى: (أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ) [الأنعام:40] وقد يكون (المفعول لأجله) نحو قوله تعالى: (أَإِفْكاً آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ) [الصافات:86] أي أتريدون آلهة غير الله كذبا؟ وهكذا.[1]

المطلب السادس: التّعجب:

ويُسَمَّى اسْتِفْهَاماً تَعْجُبيّاً حين يَكونُ صَادِراً مِنْ متعجّبٍ فعلاً، ويُسَمَّى اسْتِفْهَاماً تَعْجِيبيّاً حينَ يكونُ الغرض من إيراده إثارَةَ الْعَجَب عنْد مَنْ يخاطَبُ بهِ أو يتلقَّاهُ، منه ما يكون صادراً عن الله عزّ وجلّ، إذْ ليْسَ صفاتِهِ سبحانه أن يتعجَّب تَعَجُّبَ استِغْرابٍ

[1]- عبد العزيز عتيق، علم المعاني، ص102،103.

واستبعاد، نظراً إلى سابقِ علمه تعالى بكلّ ما يحدُثُ منْ عباده قبْلَ حدوثه، وعِلْمِهِ بخلقِه وَصفاتِهِمْ وخصائصهم النّفسية والسلوكيّة. وما ورد في بعض الأحاديث النبويّة منْ نسبة العجب إلَى الله عزّ وجلَّ فهو بمعنى الاستحسان المقتضي للرّضى والمثوبة.

أمثلة: قول الله عزّ وجل: (كَيْفَ تَكْفُرُونَ باللّه وَكُنْتُمْ أَمْوَاتاً فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) [البقرة: 28].

الاستفهام في هذه الآية استِفْهَامٌ تَعْجيبيٌّ فيه معنَى التَّوْبيخِ والتْلويم والتَّأْنِيب والتَّقْريع، فَالْمَعْنَى أَنَّ كُفْرَكُمْ باللَّهِ مَعَ كَوْنِكُمْ كُنْتُمْ أَمْواتاً فأحْيَاكُمْ ولم تُحْيُوا أنتم أنْفُسَكُمْ، أمْرٌ ينْبَغِي أن تَعْجبُوا منه قبل غيركم، وأمْرٌ يتعجّبُ منه كلُّ العقلاء من أهل الرشد. فحالُكم يثير التعجُّب والاستغراب، كيف يصْدُرُ من ذوي عقول وأفكار.

ـ قول الله عزّ وجلّ في سورة النّمل في حكايةِ تفقُّدِ سُليمانَ عليه السلام الطَّيْرَ واسْتِفهامه عن الْهُدْهُد إذْ لم يَرَهُ بينها: (وَتَفَقَّدَ الطير فَقَالَ مَالِيَ لاَ أَرَى الهدهد أَمْ كَانَ مِنَ الغآئبين) [الآية: 20]. فالاستفهامُ في (مَالِيَ لاَ أَرَى الهدهد؟) اسْتِفْهَامٌ تَعَجُّبِيٌّ، إذْ تعجَّب سليمانُ عليه السَّلام مِنْ عدم رؤيته الْهُدْهُدَ مع أَنواع الطَّيْرِ وليْسَ من عادته أن يتخلَّف.

ـ وقول الشاعر:

مَالِي أَرَاكُمْ تُنْكِرُون مَكَانَتِي الشَّمْسُ لاَ تَخْفَى معَ الإشرَاقِ

ـ قولُ إحْدى نِسَاءِ الْعَرب تَشْكُو ابْنَها وتُظْهر التعجُّبَ مِنْ عَمَله:

أَنْشَا يُمَزِّقُ أَثْوابِي يُؤَدِّبُني أَبَعْدَ شَيْبِيَ يَبْغِي عِنْدِيَ الأدَبَا؟!

أي: إنّ تأديبَ مَنْ شابَ، من العجَبِ الْعُجَاب.[1]

المطلب السابع: التّقريـر:

[1]ـ الميداني، البلاغة العربية، ص278،279.

ويكون ذلك عندما يحمل المخاطب على الإقرار بما له به علم إثباتاً ونفياً لغرض من الأغراض، على أن يجيء المقرر به تالياً لهمزة الاستفهام ومن أمثلته قولنا : أأنت رسمت؟ إذا أردت أن تقرره بأنه الراسم، وتقول أرواية كتبت؟ إذا أردنا أن نقرره بأن كتابته رواية، وعلى هذا فقس.

ومن شواهد الاستفهام التقرير في القرآن الكريم قوله تعالى مخاطباً فيه محمداً صلى الله عليه وسلم: (أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ) [الشرح:1]، وقوله: (أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيما فآوى، ووجدك ضالا فهدَى، وَوَجَدَكَ عَابِلًا فَأَغْنَى) [الضحى:6-7]. ومن أمثلته في الشعر قول أحدهم:

هَبِ الدنيا تساق إليك عفواً أليس مصير ذاك إلى الزوال؟

وقول النابغة:

ألم تر أن الله أعطاك سورة ترى كل ملك دونها يتذبذب.[1]

المطلب الثامن: التّهكـم:

وهو عدم المبالاة بالمتهكم منه، ويستوي أن يكون المتهكم منه جديراً بالمبالاة أو غير جدير بها.

فمن الأوّل قوله تعالى حكاية عن الكافرين بشعيب من قومه: (قالوا أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء). كان شعيب كثير الصلاة، وكان الكافرون به إذا رأوه يصلي تضاحكوا عليه وسخروا منه ومن صلاته فقصدوا بسؤالهم مخرقته هو وصلاته. ومنه أيضاً قوله تعالى: (أهذا الذي يذكر آلهتكم). ومن الثاني قول إبراهيم عليه السلام: (ألا تأكلون. مالكم لا تنطقون).

وقول المتنبى متهكماً بالدمستق:

[1]. ابن عبد الله أحمد شعيب، الميَسّر في البلاغة العربية، دار ابن حزم، بيروت، ط1، 2008م، ص170.

أفي كل يوم ذا الدمستق مقدم قفاه على الإقدام للوجه لائم

ويفرّق الشيخ عبد المتعال الصعيدى بين التحقير والتهكم بأن التهكم قد يكون بمن هو عظيم في نفسه بخلاف التحقير.

وأمثلة التحقير تنقض رأيه، إذ ماذا يعمل في قول الله تعالى على لسان الكفار تحقيراً لمحمد صلى الله عليه وسلم: (أهذا الذي بعث الله رسولاً).

فالأولى أن نقول: إن الفرق بين التحقير والتهكم يأتي من قبل المتكلم، فهو في التحقير يعبر عما يراه ويعتقده، أمّا في التهكم فإنّه يعوم على سطح الكلام ويتهكم بما لا يعتقد أكثر مما يتهكم بما يعتقد.

في أساس البلاغة: تهكم عليه من شدة الغضب، وتهكم علينا: تعدى. وتهكم به: تهزأ به، وقال ذلك على سبيل التهكم، قال حسان رضي الله عنه:

بني أم البنين ألم يرعكم وأنتم من ذوائب أهل نــجد

تهكم عامر بــأبي بـراء ليحقـره وما خطأ كـعمد

ويمكن القول استناداً إلى البيت الثانيمن بيتي حسان بأنّ التهكم وسيلة والتحقير غاية، والله أعلم.[1]

المطلب التاسع: التّسويــة:

ويفهم من الاستفهام هنا المساواة بين أمرين يسأل عنهما المتكلّم، كقول المتنبّي:

ولست أبالي بعد إدراكي العلا أكان تراثا ما تناولت أم كسبا.

فالشاعر لا يسأل ليفاضل بين الطريف والتلّيد لأنهما سيّان عنده. فهو يساوي بينهما ولا يسأل عن الأفضل.[2]

[1]- عبد العزيز قلقيلة، البلاغة الإصطلاحية، دار الفكر، القاهرة، ط3، 1992م، ص173.

[2]- محمد قاسم، محي الدين ديب،علوم البلاغة، ص298.

وتأتي الهمزة للتسوية المصرح بها نحو قوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَواءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لا يُؤْمِنُونَ) [البقرة:6]، فهم يعلمون مسبقا أنّهم أنذروا ومع ذلك أصروا على كفرهم وعنادهم، ولهذا يجيء الاستفهام هنا للدلالة على أن إنذار الرسول وعدمه بالنسبة لهم سواء. ومن أجل ذلك خرج الاستفهام عن معناه الحقيقي ليؤدي معنى مجازيا بلاغيا هو التسوية. ومن أمثلة التسوية أيضا قوله تعالى: (وَإِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ أَمْ بَعِيدٌ ما تُوعَدُونَ).[1]

المطلب العاشر: التّهديد والوعيــد:

وقد يُهدِّد المتكلّم باستخدام أسلوب الاستفهام، وقَدْ يَتَوعَّدُ به. كأن يقول السُّلْطان لطائفةٍ منَ المجرمين الّذين لم تَثْبُتْ بَعْدُ إدانتُهم بجرائمهم: أَلَمْ تَعلَمُوا أَنَّنا قطعْنَا أيدي الّذِينَ ثبتَتْ عليهم جريمة السّرقة؟ أَلَمْ تَعْلَموا أنَّنا قتلْنَا من ثبتت عليهم جريمة القتل عمداً وعُدْواناً؟ ألم تَعْلَمُوا أَنَّنا عاقبنا من ثبتت عليهم جريمة الحِرابة بتقطيع أيديهم وأرجُلهم من خلاف، وبقتل القتَلة منهم؟

أمثلة:

ـ قول الله عزّ وجلّ: (أَلَمْ نُهْلِكِ الأولين) [المرسلات: 16]. أي: كما فعلنا بالمجرمين الأولين من مكذّبي القرون الأولى سنفعل بأمثالهم من الأمم اللاّحقة.

ـ قول الله عزّ وجلّ: في سورة البقرة وهو يتوعّد الكافرين بما في يوم الدين: (هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن يَأْتِيَهُمُ الله فِي ظُلَلٍ مِّنَ الغمام والملائكة وَقُضِيَ الأمر وَإِلَى الله تُرْجَعُ الأمور) [الآية: 210].

[1]ـ عبد العزيز عتيق، علم المعاني، ص105.

ـ قول الله عزّ وجلَّ في سورة يونس وهو يُهَدِّدُ المشركين: (فَهَلْ يَنتَظِرُونَ إِلاَّ مِثْلَ أَيَّامِ الذين خَلَوْاْ مِن قَبْلِهِمْ...) [الآية: 102].[1]

المطلب الحادي عشر: الاستبطاء:

ودلالتها عليه من إطلاق اسم المسبب وإرادة السبب على سبيل المجاز المرسل؛ وذلك كقولك: (كم دعوتك؟) ومنه قوله تعالى: (حَتَى يَقُولَ الرَّسُول والذِينَ آمنوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ الله قريب) [البقرة: 214] فالاستفهام عن عدد الدعوة مسبب عن جهل بعددها؛ والجهل به مسبب عن كثرته عادة؛ وكثرته مسببة عن الإبطاء؛ فأطلق اسم المسبب وأريد السبب.

كما أنّ الاستفهام عن زمان النصر مسبب عن الجهل به، والجهل به مسبب عن استبعاده عادة، واستبعاده مسبب عن استبطائه. ومنه قوله البهاء زهير:

أمولاي إني في هواك معذب وحتام أبقى في العـذاب وأمكث؟[2]

المطلب الثاني عشر: الاستبعـاد:

ودلالتها عليه كدلالتها على الاستبطاء؛ للقرب بين معنييهما، والفرق بينهما: أن الاستبطاء يتوقع ما يتعلق به بخلاف الاستبعاد. ومن الاستبعاد قول الله تعالى: (أنّى لهم الذكرى وقد جاءهم رسول مبين، ثم تولوا عنه وقالوا معلم مجنون) [الدخان: 13، 14].[3] وكقوله تعالى: (أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَى وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ) فليس الغرض: السؤال عن الذكرى لاستحالته من الله العالم بخفايا الأمور، إنّما المراد: استبعاد تذكرهم بدليل قوله: (وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ) فكأنّه يقول من أين لهم التذكر والاعتبار والرجوع إلى الحق، وقد جاءهم رسول واضح الحجة، فأعرضوا عنه.[4]

---

[1]ـ الميداني، البلاغة العربية، ج1، ص286.

[2]ـ حسن بن إسماعيل الجناجيّ، البلاغة الصافية في المعاني والبيان والبديع، ص214.

[3]ـ المرجع نفسه، ص219.

[4]ـ حامد عوني، المنهاج الواضح للبلاغة، ج2، ص104.

المطلب الثالث عشر: التّشويـق:

وفيه لا يريد السائل العلم بشيء لا يعلمه من قبل، وإنّما يريد توجيه المخاطب وتشويقه إلى أمر من الأمور نحو قوله تعالى: (يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا هل أدلكم على تجارة تُنجيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَالِكُمْ خَيْرٌ لَكُم إن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ) [الصف:10،11]، ونحو قوله صلى الله عليه وسلم: (ألا أخبركم بمن يحرم على النار –أو بمن تحرم عليه النار– تحرم على كل قريب هَيْن لَيْن سهل). وقوله أيضا: (والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أو لا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم).[1]

المطلب الرابع عشر: التّنبيه إلى الظّلال:

كما في قوله تعالى: (فَأَيْنَ تَذهَبُونَ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعالَمينَ) [التكوير:26]، فهو تنبيه للكفرة إلى خطأ ما يقولون وضلال ما يعتقدون وباطل ما يعبدون من دون الله، ويتضح لك هذا التنبيه عندما تتأمل سياق الآيات الكريمة: (فَلا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ الْجَوَارِ الْكُنَّسِ، وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ، وَالصُّبْحِ إِذَا تَنفَّس، إِنَّهُ لَقَولُ رَسُول كَرِيم، ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِين، مُطَاع ثُمَّ أَمِين، وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجنون، وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ، وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِين، وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَّجِيم، فأين تذهبون) [التكوير:15] فقد أقسم سبحانه وتعالى بالنجوم الدالة على قدرته في أحوال ظهورها واختفائها (الخنس .. الجواري .. الكنس) ثم أقسم بالليل يقبل بظلامه وبالصبح الذي يبدد ذاك الظلام، إن القرآن لمن عند الله نزل به رسول أمين على صاحبكم محمد صلى الله عليه وسلم، وآثر التعبير بالصاحب ليلفتهم إلى أنه صاحبهم الذي يعرفون صدقه وأمانته فهو صادق فيما يبلغهم عن ربه، أمين عليه، وقد رأى وأبصر من آيات ربه الكبرى، رأى جبريل بالأفق المبين، وهو حريص على إبلاغ رسالة ربّه، لا يضن بها عليكم، لقد وضح الأمر وانكشف الحق، فأين تذهبون بعدئذ عنه إلا إلى ضلالات ومتاهات؟ فمجيء الاستفهام عقب هذا البيان وتلك التجلية ينبه

[1]- ابن عبد الله أحمد شعيب، الميَسّر في البلاغة العربية، ص174.

الغافل ويحذر المعاند ويحث المكابر على النظر والتأمل ليقبل على الحق ويتخلى عن الضلال والعناد.[1]

[1]- عبد الفتاح بسيوني، علم المعاني دراسة بلاغية نقدية، ص105،106.

الفصل الثاني

نماذج من استفهامات ربّ البريّة

المبحث الأوّل: دلالة الخطاب القرآني:

خطاب الله لخلقه، والتّعبير على شؤونه سبحانه وتعالى يلزم أن يكون أسلوب مخاطباتهم ومعاملة بعضهم لبعض، كما يلزم أيضا في بيان شؤونه وإفهامهم إياها، أن تكون على نحو صفاتهم البشرية من جميع الوجوه لأن كيفية المخاطبة تكون ولا بد تابعة لحال المخاطب في إدراكه وعقله وعلمه ومعهوداته وإلّا لو لم يكن الأمر كذلك لتعطّلت الشرائع والأحكام وانسدّ باب المعارف الدنيوية والأخروية لأنّ الله جلّ جلاله وتنزه وتعالى، ذاته لا تشبه الذوات، وصفاته ليست كصفات الخلق في الكم والكيف وأفعاله لا تشبه أفعال المخلوقات.

بقول ابن القيّم: ليس يوجد في الكتب المنزلة من عند الله كتاب جمعت ألفاظه من الإيجاز والاختصار والإحاطة بالمعاني الجليلة والجزالة والعذوبة وحسن الموقع من الأسماع والقلوب ما تضمنته ألفاظ القرآن وقد شهد له بذلك أعداؤه وسمع بعض الأعراب قارئا يقرأ {فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ} [الحجر94]، فسجد فقيل له ليست بآية سجود فقال سجدت لفصاحة هذا الكلام. فإذا تأملت طريقته وجدتها طريقة مخاطبة ملك الناس كلهم لعبيده ومماليكه وهذا أحد الدلائل الدالة على أنّه كلامه الذي تكلّم به حقيقة لا كلام غيره من المخلوقين وإذا كان النّبي صلّى الله عليه وسلّم قد أوتي جوامع الكلام وبين كلامه وكلام الله مالا يحصره نسبة فكيف يجوز في الأوهام والعقول أن تحمل جوامع كلمات الرب تعالى على ما يناقض عمومها ويحطها من مرتبة عظمة العموم ومحاسنه وجلالة شأنه إلى حضيض الخصوص بل الواجب أن يقال إن خطاب الله عز وجل في كل ما أمر به ونهى عنه وحمد أو ذم عليه ووعد عليه بثوابه وعقابه خرج في ذلك كله مخرجا عامّا كلّيا بحسب ما تقتضيه جلالة الربوبية ومرتبة الملك والسلطان العام لجميع الخلق.

ولو ترك المتأوّلون ألفاظه تجري على دلائلها الكلية وأحكامها العامة وظواهرها المفهومة منها وحقائقها الموضوعة لها لأفادتهم اليقين وجزموا بمراد المتكلم بها ولانحسمت بذلك مواد أكثر التأويلات الباطلة والتحريفات التي تأباها العقول السليمة ولما تهيأ لكلّ

مبطل أن يعمد إلى آيات من القرآن فينزلها على مذهبه الباطل ويتأولها عليه ويجعلها شاهدة له وهي في التّحقيق شاهدة عليه ولسلم القرآن والحديث من الآفات التي جناها عليهما المتأوّلون وألصقها بهما المحرفون والله المستعان.[1]

المطلب الأوّل: أنواع الدلالات:

وهُو إمّا أن تكون دلالته لفظية أو غير لفظية، واللّفظية إمّا أن تعتبر بالنسبة إلى كمال المعنى الموضوع له اللّفظ، أو إلى بعضه، فالأوّل: دلالة المطابقة كدلالة لفظ الإنسان على معناه. والثّاني: دلالة التضمن كدلالة لفظ الإنسان على ما في معناه من الحيوان أو الناطق، والمطابقة أعم من التضمّن؛ لجواز أن يكون المدلول بسيطا لا جزء له. وأمّا غير اللّفظية، فهي دلالة الالتزام، وهي أن يكون اللّفظ له معنى، وذلك المعنى له لازم من خارج، فعند فهم مدلول اللّفظ من اللّفظ ينتقل الذّهن من مدلول اللّفظ إلى لازمه، ولو قُدّر عدم هذا الانتقال الذهني لما كان ذلك اللازم مفهوما، ودلالة الالتزام وإن شاركت دلالة التّضمّن في افتقارهما إلى نظر عقلي يعرف اللّازم في الالتزام، والجزء في دلالة التّضمّن، غير أنّه في التّضمّن لتعريف كون الجزء داخلا في مدلول اللّفظ، وفي الالتزام لتعريف كونه خارجا عن مدلول اللّفظ، فلذلك كانت دلالة التّضمّن لفظية بخلاف دلالة الالتزام، ودلالة الالتزام مساوية لدلالة المطابقة ضرورة امتناع خلو مدلول اللّفظ المطابق عن لازم، وأعمّ من دلالة التّضمّن; لجواز أن يكون اللازم لما لا جزء له.[2]

وبمفهوم بسيط وواضح:

"معنى دلالة التّضمين يعني: دلالة اللّفظ على جزء مسماه، كدلالة لفظ الدّار على السّقف، هذه تدخل معنا؛ لأنّ التّعبير بالكل وإرادة الجزء هذا من المجاز المرسل.

[1]- ابن قيّم الجوزية، الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة، تح: علي بن محمد الدخيل، دار العاصمة، الرياض، ط1، 1408هـ، ج2، ص709،710.

[2]- أبو الحسن الآمدي، الإحكام في أصول الأحكام، تح: عبد الرزاق عفيفي، المكتب الإسلامي، بيروت، ج1، ص15.

دلالة الالتزام: دلالة اللّفظ على معنى خارج عن مسماه، كدلالة لفظ الأسد على الشّجاع، هذا يدخل معنا في التشبيه وفي الكناية."[1]

المطلب الثاني: أثر السّياق في توجيه الخطاب القرآني:

اعتمد طوائف من العلماء والمفسرين على سياق الآيات، فأخذوا أوّله بنظر الاعتبار ووصلوا بينه وبين آخره، ثم قاموا بالمقاربة بين الجملات والفقرات في آية واحدة وحصلوا منها على معان غير قليلة، وهذا لا يكون إلّا بالاعتماد على سابق الآية ولاحقها.

فنجد أنّ السياق "يلعب دورا مهما في تنويع دلالات اللفظة الواحدة، إذ نجد أنّ اللفظة في ظاهرها تحمل معنى واحد ولكنّها حينما تستعمل في سياقات متنوعة تلبس دلالات متنوعة، يضفيها عليها السياق، ومثال ذلك كلمة (ضرب) إذ نجد لها دلالات كثيرة بحسب السياق المستعملة فيه فنجدها بمعنى (السعي لطلب الرزق)، في مثل قوله تعالى: (وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّه) [المزمّل:20]، وبمعنى (ذكر)، في مثل قوله تعالى: (ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُون) [الزمر:29]، وبمعنى (العقوبة) في مثل قوله تعالى: (وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا) [النساء:34]، وبمعنى (أقيمت) في مثل قوله تعالى: (ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُون) [آل عمران: 112]، وبمعنى (أنمْناهم) في مثل قوله تعالى: (فَضَرَبْنَا عَلَى

[1]. مناهج جامعة المينة العالمية، البلاغة 1 – البيان والبديع، جامعة المدينة العالمية، دط، دت، ص28.

آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا) [الكهف:11]، وبمعنى (الإعراض والترك) في مثل قوله تعالى: (أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا أَنْ كُنْتُمْ قَوْمًا مُسْرِفِين) [الزخرف:5]."[1]

المبحث الثاني: نماذج من استفهامات الله و اغراضها الخطابية:

المطلب الأوّل: الأمر:

قال الله تعالى:{إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ} [المائدة:91].

الشرح:

هذا الاستفهامُ فيه معنى الأمر أي: انتهوا، ولذلك لَمَّا فهم عمر بن الخطاب الأمرية، قال: «انتهَيْنا يا رب انتهينا يا رب» ويدلُّ على ذلك أيضاً عطفُ الأمرِ الصريح عليه في قوله «وأطيعوا» كأنّه قيل: انتهو عن شرب الخمر وعن كذا وأطيعوا، فمجيءُ هذه الجملةِ الاستفهاميةِ المصدَّرةِ باسمٍ مُخْبَرٍ عنه باسمِ فاعل دالٍّ على ثبوتِ النهي واستقراره أبلغُ من صريحِ الأمر.[2] فقوله تعالى: فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ فيه قولان: أحدهما: أنه لفظ استفهام، ومعناه الأمر. تقديره: انتهوا. قال الفراء: ردّد علي أعرابيٌ: هل أنت ساكتٌ، هل أنت ساكت؟ وهو يريد: اسكت، اسكت. والثاني: أنه استفهام، لا بمعنى الأمر. ذكر شيخنا علي بن عبيد الله أن جماعة كانوا يشربون الخمر بعد هذه الآية، ويقولون: لم يحرّمها، إنما قال: فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ، فقال بعضنا: انتهينا، وقال بعضنا: لم ننته، فلما نزلت قُلْ إِنَّما حَرَّمَ رَبِّيَ

[1]- نقلا عن بن فرحات سامية، أثر السياق في توجيه دلالة الخطاب القرآني (مذكرة ماستر)، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، 2019/2018م، ص30.

[2]- السمين الحلبي، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، تح: أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق، ج4، ص414.

الْفَواحِشَ ما ظَهَرَ مِنْها وَما بَطَنَ وَالْإِثْمَ حُرّمت، لأن «الإثم» اسمٌ للخمر. وهذا القول ليس بشيء، والأوّل أصح.[1] ومعناه أنّه لفظ استفهام، غرضه الأمر.

ومنَ الأمثلة أيضاً: قوله تعالى: {وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ} [آل عمران:20]. أَأَسْلَمْتُمْ استفهام تقرير يَتَضَمَّنُ الْأَمْرَ، أَيْ: أَسْلِمُوا، كَذَا قَالَهُ ابْنُ جَرِيرٍ وَغَيْرُهُ.[2]

المطلب الثاني: النّفي:

قال الله تعالى: {فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ بَلَاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُون} [الأحقاف:35].

الشرح:

فَرْعٌ عَلَى جُمْلَةِ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ إِلَى مِنْ نَهارٍ، أَيْ فَلَا يُصِيبُ الْعَذَابُ إِلَّا الْمُشْرِكِينَ أَمْثَالَهُمْ. وَالِاسْتِفْهَامُ مُسْتَعْمَلٌ فِي النَّفْيِ، وَلِذَلِكَ صَحَّ الِاسْتِثْنَاءُ مِنْهُ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: (وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْراهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ) [الْبَقَرَة: 130].

وَمَعْنَى التَّقْرِيعِ أَنَّهُ قَدِ اتَّضَحَ مِمَّا سَمِعْتَ أَنَّهُ لَا يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ، وَذَلِكَ مِنْ قَوْلِهِ: (قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعاً مِنَ الرُّسُلِ) [الْأَحْقَاف: 9]، وَقَوله: (لتنذر الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرى لِلْمُحْسِنِينَ إِلَى قَوْلِهِ: وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ) [الْأَحْقَاف: 12، 13]، وَقَوْلِهِ: (وَلَقَدْ أَهْلَكْنا مَا حَوْلَكُمْ مِنَ الْقُرى) [الْأَحْقَاف: 27] الْآيَةَ. وَالْإِهْلَاكُ مُسْتَعْمَلٌ فِي مَعْنَيَيْهِ الْحَقِيقِيِّ وَالْمَجَازِيِّ، فَإِنَّ مَا حُكِيَ فِيمَا مَضَى بَعْضُهُ إِهْلَاكٌ حَقِيقِيٌّ مِثْلُ مَا فِي قِصَّةِ عَادٍ، وَمَا فِي قَوْلِهِ: وَلَقَدْ أَهْلَكْنا مَا حَوْلَكُمْ مِنَ الْقُرى، وَبَعْضُهُ مُجَازِيٌّ وَهُوَ سُوءُ الْحَالِ، أَيْ عَذَابُ الْآخِرَةِ: وَذَلِكَ فِيمَا حُكِيَ

[1]- ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، تح: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1422هـ، ج1، ص582،583.

[2]- محمد بن علي الشوكاني، فتح القدير، دار ابن كثير، دمشق، ط1، 1414هـ، ج1، ص374.

مِنْ عَذَابِ الْفَاسِقِينَ. وَتَعْرِيفُ الْقَوْمُ تَعْرِيفُ الْجِنْسِ، وَهُوَ مُفِيدٌ الْعُمُومَ، أَيْ كُلُّ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ فَيَعُمُّ مُشْرِكِي مَكَّةَ الَّذِينَ عَنَاهُمُ الْقُرْآنُ فَكَانَ لِهَذَا التَّقْرِيعِ مَعْنَى التَّذْيِيلِ.

وَالتَّعْبِيرُ بِالْمُضَارِعِ فِي قَوْلِهِ: فَهَلْ يُهْلَكُ عَلَى هَذَا الْوَجْهِ لِتَغْلِيبِ إِهْلَاكِ الْمُشْرِكِينَ الَّذِي لَمَّا يَقَعْ عَلَى إِهْلَاكِ الْأُمَمِ الَّذِينَ قَبْلَهُمْ. وَلَكَ أَنْ تَجْعَلَ التَّعْرِيفَ تَعْرِيفَ الْعَهْدِ، أَيِ الْقَوْمُ الْمُتَحَدَّثُ عَنْهُمْ فِي قَوْلِهِ: كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ الْآيَةَ، فَيَكُونُ إِظْهَارًا فِي مَقَامِ الْإِضْمَارِ لِلْإِيمَاءِ إِلَى سَبَبِ إِهْلَاكِهِمْ أَنَّهُ الْإِشْرَاكُ.

وَالْمُرَادُ بِالْفِسْقِ هُنَا الْفِسْقُ عَنِ الْإِيمَانِ وَهُوَ فِسْقُ الْإِشْرَاكِ. وَأَفَادَ الِاسْتِثْنَاءُ أَنَّ غَيْرَهُمْ لَا يَهْلِكُونَ هَذَا الْهَلَاكَ، أَوْ هُمُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ.[1]

ومن الأمثلة الواردة أيضاً: قوله تعالى: {هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَان} [الرحمان60]. أي: هل جزاء من أحسن في عبادة الخالق ونفع عبيده، إلا أن يحسن إليه بالثواب الجزيل، والفوز الكبير، والنعيم المقيم، والعيش السليم، فهاتان الجنتان العاليتان للمقربين.[2]

وَالْاِسْتِفْهَامُ مُسْتَعْمَلٌ فِي النَّفْيِ، وَلِذَلِكَ عَقَّبَ بِالْاِسْتِثْنَاءِ فَأَفَادَ حَصْرَ مُجَازَاةِ الْإِحْسَانِ فِي أَنَّهَا إِحْسَانٌ، وَهَذَا الْحَصْرُ إِخْبَارٌ عَنْ كَوْنِهِ الْجَزَاءَ الْحَقَّ وَمُقْتَضَى الْحِكْمَةِ وَالْعَدْلِ، وَإِلَّا فَقَدْ يَتَخَلَّفُ ذَلِكَ لَدَى الظَّالِمِينَ.[3]

المطلب الثالث: الإنكار:

قال الله تعالى: {أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَات} [الزخرف:32].

---

[1]- الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984م، ج26، ص69.

[2]- عبد الرحمان السعدي، تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان، تح: عبد الرحمان اللويحق، دن، ط1، 2000م، مؤسسة الرسالة، ص831.

[3]- الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج27، ص271.

الشرح:

إِنْكَارٌ عَلَيْهِمْ قَوْلَهُمْ (لَوْلا نُزِّلَ هذَا الْقُرْآنُ عَلى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ) [الزخرف:31]، فَإِنَّهُمْ لَمَّا نَصَّبُوا أَنْفُسَهُمْ مَنْصِبَ مَنْ يَتَخَيَّرُ أَصْنَافَ النَّاسِ لِلرِّسَالَةِ عَنِ اللَّهِ، فَقَدْ جَعَلُوا لِأَنْفُسِهِمْ ذَلِكَ لَا لِلَّهِ، فَكَانَ مِنْ مُقْتَضَى قَوْلِهِمْ أَنَّ الِاصْطِفَاءَ لِلرِّسَالَةِ بِيَدِهِمْ، فَلِذَلِكَ قُدِّمَ ضَمِيرُ هُمْ الْمَجْعُولُ مُسْنَدًا إِلَيْهِ، عَلَى مُسْنَدٍ فِعْلِيٍّ لِيُفِيدَ مَعْنَى الِاخْتِصَاصِ فَسَلَّطَ الْإِنْكَارَ عَلَى هَذَا الْحَصْرِ إِبْطَالًا لِقَوْلِهِمْ وَتَخْطِئَةً لَهُمْ فِي تَحَكُّمِهِمْ. وَلَمَّا كَانَ الِاصْطِفَاءُ لِلرِّسَالَةِ رَحْمَةً لِمَنْ يُصْطَفَى لَهَا وَرَحْمَةً لِلنَّاسِ الْمُرْسَلِ إِلَيْهِمْ، جَعَلَ تَحَكُّمَهُمْ فِي ذَلِكَ قِسْمَةً مِنْهُمْ لرحمة الله بِاخْتِيَار هم مَنْ يَخْتَارُ لَهَا وَتَعْيِينِ الْمُتَأَهِّلِ لِإِبْلَاغِهَا إِلَى الْمَرْحُومِينِ.

وَوُجِّهَ الْخِطَابُ إِلَى النبيء صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأُضِيفَ لِفَظُ (الرَّبِّ) إِلَى ضَمِيرِهِ إِيمَاءً إِلَى أَنَّ اللَّهَ مُؤَيِّدُهُ تَأْنِيسًا لَهُ، لِأَنَّ قَوْلَهُمْ: (لَوْلا نُزِّلَ هذَا الْقُرْآنُ عَلى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ) [الزخرف: 31] قَصَدُوا مِنْهُ الِاسْتِخْفَافَ بِهِ، فَرَفَعَ اللَّهُ شَأْنَهُ بِإِبْلَاغِ الْإِنْكَارِ عَلَيْهِمْ بِالْإِقْبَالِ عَلَيْهِ بِالْخِطَابِ وَبِإِظْهَارِ أَنَّ اللَّهَ رَبَّهُ، أَيْ مُتَوَلِّي أَمْرَهُ وَتَدْبِيرَهُ.

وَجُمْلَةُ نَحْنُ قَسَمْنا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ تَعْلِيلٌ لِلْإِنْكَارِ وَالنَّفْيِ الْمُسْتَفَادِ مِنْهُ، وَاسْتِدْلَالٌ عَلَيْهِ، أَيْ لَمَّا قَسَمْنَا بَيْنَ النَّاسِ مَعِيشَتَهُمْ فَكَانُوا مُسَيَّرِينَ فِي أُمُورِهِمْ عَلَى نَحْوِ مَا هَيَّأْنَا لَهُمْ مِنْ نِظَامِ الْحَيَاةِ وَكَانَ تَدْبِيرُ ذَلِكَ لِلَّهِ تَعَالَى بِبَالِغِ حِكْمَتِهِ، فَجَعَلَ مِنْهُمْ أَقْوِيَاءَ وَضُعَفَاءَ، وَأَغْنِيَاءَ وَمَحَاوِيجَ.[1]

ومن أمثلة الإنكار نجد: قوله تعالى: {أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ} [المائدة:50]. أفحكم الجاهلية يبغون هذا استفهام معناه الإنكار على اليهود، حيث هم أهل كتاب وتحليل وتحريم من الله تعالى، ومع ذلك يعرضون عن حكم الله ويختارون عليه حكم الجاهلية، وهو بمجرد الهوى من مراعاة الأشرف عندهم، وترجيح الفاضل عندهم في الدنيا على المفضول، وفي هذا أشد النعي عليهم حيث تركوا الحكم الإلهي بحكم الهوى والجهل. وقال الحسن: هو عامٌّ في كل من يبتغي غير حكم الله.

[1]. الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج25، ص200،201.

والحكم حكمان: حكم بعلم، فهو حكم الله. وحكم بجهل فهو حكم الشيطان. وسئل عن الرجل يفضل بعض ولده على بعض فقرأ هذه الآية. وقرأ الجمهور: أفحكم بنصب الميم، وهو مفعول يبغون. وقرأ السلمي، وابن وثاب، وأبو رجاء، والأعرج: أفحكم الجاهلية برفع الميم على الابتداء. والظاهر أن الخبر هو قوله: يبغون، وحسن حذف الضمير قليلا في هذه القراءة كون الجملة فاصلة. وقال ابن مجاهد: هذا خطأ. قال ابن جني: وليس كذلك، وجد غيره أقوى منه وقد جاء في الشعر.[1]

والاستفهام في (ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون) للإنكار أيضاً أي لا يكون أحد حكمه أحسن من حكم الله أو مساوٍ له عند أهل اليقين لا عند أهل الجهل والاهواء، وان كان ظاهر السبك غير متعرض لنفي المساواة وإنكارها.[2]

وفي قوله تعالى: {أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى} [القيامة:36]. اسْتِئْنَافٌ ابْتِدَائِيٌّ عَادَ بِهِ الْكَلَامُ إِلَى الِاسْتِدْلَالِ عَلَى إِمْكَانِ الْبَعْثِ وَهُوَ مَا ابْتُدِئَ بِهِ فَارْتَبَطَ بِقَوْلِهِ: (أَيَحْسَبُ الْإِنْسانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظامَهُ) [الْقِيَامَة: 3]، فَكَأَنَّهُ قِيلَ: أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ وَيَحْسَبُ أَنْ نَتْرُكَهُ فِي حَالَةِ الْعَدَمِ. وَزِيدَ هُنَا أَنَّ مُقْتَضَى الْحِكْمَةِ الْإِلَهِيَّةِ إِيقَاعُهُ بِقَوْلِهِ: أَنْ يُتْرَكَ سُدىً كَمَا سَتَعْلَمُهُ.

وَالِاسْتِفْهَامُ إِنْكَارِيٌّ مِثْلَ الَّذِي سَبَقَهُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: (أَيَحْسَبُ الْإِنْسانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظامَهُ) [الْقِيَامَة: 3]. وَأَصْلُ مَعْنَى التَّرْكِ: مُفَارَقَةُ شَيْءٍ شَيْئًا اخْتِيَارًا مِنَ التَّارِكِ، وَيُطْلَقُ مَجَازًا عَلَى إِهْمَالِ أَحَدٍ شَيْئًا وَعَدَمِ عنايته بأحواله ويتعهده، وَهُوَ هُنَا مُسْتَعْمَلٌ فِي الْمَعْنَى الْمَجَازِيِّ. وَالْمُرَادُ بِمَا يُتْرَكُ عَلَيْهِ الْإِنْسَانُ هُنَا مَا يَدُلُّ عَلَيْهِ السِّيَاقُ، أَيْ حَالُ الْعَدَمِ دُونَ

[1]- أبو حيّان الأندلسي، البحر المحيط في التفسير، تح: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، 1420هـ، ج4، ص287.

[2]- صديق حسن خان، فتح البيان في مقاصد القرآن، تح: عبد الله الأنصاري، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، 1992م، ج3، ص447.

إِحْيَاءٍ مِمَّا دَلَّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى: (أَيَحْسَبُ الْإِنْسانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظامَهُ) [الْقِيَامَة: 3] وَقَوله: (يُنَبَّؤُا الْإِنْسانُ يَوْمَئِذٍ بِما قَدَّمَ وَأَخَّر) [القيامة:13]...

فَقَوْلُهُ: أَيَحْسَبُ الْإِنْسانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدىً تَكْرِيرٌ وَتَعْدَادٌ لِلْإِنْكَارِ عَلَى الْكَافرين تكذيبهم بالعبث، أَلَا تَرَى أَنَّهُ وَقَعَ بَعْدَ وَصْفِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَمَا فِيهِ مِنَ الْحِسَابِ عَلَى مَا قَدَّمَ الْإِنْسَانُ وَأَخَّرَ.[1]

وأيضاً قوله تعالى: {أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُمْ بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا} [الإسراء:40]. فالْهَمْزَةُ فِي قَوْلِهِ: (أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُمْ بِالْبَنِينَ)، لِلْإِنْكَارِ، وَمَعْنَى الْآيَةِ: أَفَخَصَّكُمْ رَبُّكُمْ عَلَى وَجْهِ الْخُصُوصِ وَالصَّفَاءِ بِأَفْضَلِ الْأَوْلَادِ وَهُمُ الْبَنُونَ، لَمْ يَجْعَلْ فِيهِمْ نَصِيبًا لِنَفْسِهِ، وَاتَّخَذَ لِنَفْسِهِ أَدْوَنَهُمْ وَهِيَ الْبَنَاتُ! وَهَذَا خِلَافُ الْمَعْقُولِ وَالْعَادَةِ، فَإِنَّ السَّادَةَ لَا يُؤْثِرُونَ عَبِيدَهُمْ بِأَجْوَدِ الْأَشْيَاءِ وَأَصْفَاهَا مِنَ الثَّوْبِ، وَيَتَّخِذُونَ لِأَنْفُسِهِمْ أَرْدَأَهَا وَأَدْوَنَهَا، فَلَوْ كَانَ جَلَّ وَعَلَا مُتَّخِذًا وَلَدًا – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَنْ ذَلِكَ عُلُوًّا كَبِيرًا – لَاتَّخَذَ أَجْوَدَ النَّصِيبَيْنِ وَلَمْ يَتَّخِذْ أَرْدَأَهُمَا، وَلَمْ يَصْطَفِكُمْ دُونَ نَفْسِهِ بِأَفْضَلِهِمَا.

وَهَذَا الْإِنْكَارُ مُتَوَجِّهٌ عَلَى الْكُفَّارِ فِي قَوْلِهِمْ: الْمَلَائِكَةُ بَنَاتُ اللَّهِ، سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا، فَقَدْ جَعَلُوا لَهُ الْأَوْلَادَ! وَمَعَ ذَلِكَ جَعَلُوا لَهُ أَضْعَفَهَا وَأَرْدَأَهَا وَهُوَ الْإِنَاثُ، وَهُمْ لَا يَرْضَوْنَهَا لِأَنْفُسِهِمْ.[2]

المطلب الرابع: التّوبيخ:

قال الله تعالى: {أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ} [البقرة:44].

الشرح:

[1]- الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج29، ص364،365.

[2]- محمد الأمين الشنقيطي، أضواء البيان، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1995م، ج3، ص157.

وَالِاسْتِفْهَامُ هُنَا لِلتَّوْبِيخِ لِعَدَمِ اسْتِقَامَةِ الْحَمْلِ عَلَى الِاسْتِفْهَامِ الْحَقِيقِيِّ فَاسْتُعْمِلَ فِي التَّوْبِيخِ مَجَازًا بِقَرِينَةِ الْمَقَامِ وَهُوَ مَجَازٌ مُرْسَلٌ لِأَنَّ التَّوْبِيخَ يُلَازِمُ الِاسْتِفْهَامَ لِأَنَّ مَنْ يَأْتِي مَا يَسْتَحِقُّ التَّوْبِيخَ عَلَيْهِ مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يَتَسَاءَلَ النَّاسُ عَنْ ثُبُوتِ الْفِعْلِ لَهُ وَيَتَوَجَّهُونَ إِلَيْهِ بِالسُّؤَالِ فَيَنْتَقِلُ مِنَ السُّؤَالِ إِلَى التَّوْبِيخِ وَيَتَوَلَّدُ مِنْهُ مَعْنَى التَّعْجِيبِ مِنْ حَالِ الْمُوَبَّخِ وَذَلِكَ لِأَنَّ الْحَالَةَ الَّتِي وُبِّخُوا عَلَيْهَا حَالَةٌ عَجِيبَةٌ لِمَا فِيهَا مِنْ إِرَادَةِ الْخَيْرِ لِلْغَيْرِ وَإِهْمَالِ النَّفْسِ مِنْهُ فَحَقِيقٌ بِكُلِّ سَامِعٍ أَنْ يَعْجَبَ مِنْهَا... وَبِهَذَا تَعْلَمُ أَنَّهُ لَا يُتَوَهَّمُ قَصْدُ النَّهْيِ عَنْ مَضْمُونِ كِلَا الْجُمْلَتَيْنِ إِذِ الْقَصْدُ هُوَ التَّوْبِيخُ عَلَى اتِّصَافٍ بِحَالَةٍ فَظِيعَةٍ لَيْسَتْ مِنْ شِيَمِ النَّاصِحِينَ.[1]

المطلب الخامس: التّعظيم والتّهويل:

قال الله تعالى: { الْحَاقَّةُ * مَا الْحَاقَّةُ * وَما أَدْراكَ مَا الْحَاقَّة} [الحاقة: 1،2].

الشرح:

الحاقة يوم الحق، وقيل: سميت بذلك لأن كل إنسان فيها حقيق بأن يجزى بعمله، وقيل: سميت بذلك لأنها أحقت لقوم النار، وأحقت لقوم الجنة، وهي مبتدأ وخبرها قوله: ما الحاقة على أن «ما» الاستفهامية مبتدأ ثان وخبره «الحاقة»، والجملة خبر للمبتدأ الأول، والمعنى: أي شيء هي في حالها أو صفاتها، وقيل: إن «ما» الاستفهامية خبر لما بعدها، وهذه الجملة وإن كان لفظها لفظ الاستفهام فمعناها التعظيم والتفخيم لشأنها، كما تقول: زيد ما زيد، وقد قدمنا تحقيق هذا المعنى في سورة الواقعة. ثم زاد سبحانه في تفخيم أمرها وتفظيع شأنها وتهويل حالها فقال: وما أدراك ما الحاقة أي: أي شيء أعلمك ما هي؟ أي: كأنك لست تعلمها إذ لم تُعَايِنْهَا وَتُشَاهِدْ مَا فِيهَا مِنَ الْأَهْوَالِ فَكَأَنَّهَا خَارِجَةٌ عَنْ دَائِرَةِ عِلْمِ الْمَخْلُوقِينَ.[2] فالْحَاقَّةُ الساعة الواجبة الوقوع الثابتة المجيء، التي هي آتية لا ريب فيها. أو التي فيها حواق الأمور من الحساب والثواب والعقاب. أو التي تحق فيها الأمور، أي: تعرف على الحقيقة، من قولك لا أحق هذا، أي: لا أعرف حقيقته. جعل الفعل لها وهو

[1]- الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج1، ص474،475،476.

[2]- محمد بن علي الشوكاني، فتح القدير، ج5، ص333،334.

لأهلها وارتفاعها على الابتداء وخبرها مَا الْحَاقَّةُ والأصل: الحاقة ما هي، أي أيّ شيء هي تفخيما لشأنها وتعظيما لهو لها، فوضع الظاهر موضع المضمر، لأنه أهول لها وَما أَدْراكَ وأىّ شيء أعلمك ما الحاقة، يعنى: أنك لا علم لك بكنهها ومدى عظمها، على أنه من العظم والشدة بحيث لا يبلغه دراية أحد ولا وهمه، وكيفما قدرت حالها فهي أعظم من ذلك.[1]

وجاء في قوله تعالى: {الْقَارِعَةُ*مَا الْقَارِعَةُ*وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ} [القارعة:1،2،3]. مَا اسْتِفْهَامِيَّةٌ، وَالِاسْتِفْهَامُ مُسْتَعْمَلٌ فِي التَّهْوِيلِ عَلَى طَرِيقَةِ الْمَجَازِ الْمُرْسَلِ الْمُرَكَّبِ لِأَنَّ هَوْلَ الشَّيْءِ يَسْتَلْزِمُ تَسَاؤُلَ النَّاسِ عَنْهُ. فَالْقارِعَةُ هَنَا مُرَادٌ بِهَا حَادِثَةٌ عَظِيمَةٌ. وَجُمْهُورُ الْمُفَسِّرِينَ عَلَى أَنَّ هَذِهِ الْحَادِثَةَ هِيَ الْحَشْرُ فَجَعَلُوا الْقَارِعَةَ مِنْ أَسْمَاءِ يَوْمِ الْحَشْرِ مِثْلَ الْقِيَامَةِ، وَقِيلَ: أُرِيدَ بِهَا صَيْحَةُ النَّفْخَةِ فِي الصُّوَرِ، وَعَنِ الضَّحَّاكِ: الْقَارِعَةُ النَّارُ ذَاتُ الزَّفِيرِ، كَأَنَّهُ يُرِيدُ أَنَّهَا اسْمُ جَهَنَّمَ... وَمَعْنَى وَما أَدْراكَ مَا الْقارِعَةُ زِيَادَةُ تَهْوِيلِ أَمْرِ الْقَارِعَةِ وَمَا اسْتِفْهَامِيَّةٌ صَادِقَةٌ عَلَى شَخْصٍ، وَالتَّقْدِيرُ: وَأَيُّ شَخْصٍ أَدْرَاكَ، وَهُوَ مُسْتَعْمَلٌ فِي تَعْظِيمِ حَقِيقَتِهَا وَهَوْلِهَا لِأَنَّ هَوْلَ الْأَمْرِ يَسْتَلْزِمُ الْبَحْثَ عَنْ تَعَرُّفِهِ. وَأَدْرَاكَ: بِمَعْنَى أَعْلَمَكَ. وَمَا الْقارِعَةُ اسْتِفْهَامٌ آخَرُ مُسْتَعْمَلٌ فِي حَقِيقَتِهِ، أَيْ مَا أَدْرَاكَ جَوَابَ هَذَا الِاسْتِفْهَامِ. وَسَدَّ الِاسْتِفْهَامُ مَسَدَّ مَفْعُولَيْ أَدْراكَ وَجُمْلَةُ: وَما أَدْراكَ مَا الْقارِعَةُ عَطْفٌ عَلَى جُمْلَةِ مَا الْقارِعَةُ وَالْخِطَابُ فِي أَدْراكَ لِغَيْرِ مُعَيَّنٍ، أَيْ وَمَا أَدْرَاكَ أَيُّهَا السَّامِعُ.[2]

ويذكر أيضاً ابن عاشور أنَّ هذه الآية احتوت على تهويل شديد بثمانية طرق ذكر منها: ((...وَالِاسْتِفْهَامُ الْمُسْتَعْمَلُ فِي التَّهْوِيلِ... والاستفهام عَمَّا ينبىء بِكُنْهِ الْقَارِعَةِ...))[3]

[1]- الزمخشريّ، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي، بيروت، ط3، 1407ه، ج4، ص598.

[2]- الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج30، ص510،511.

[3]- المرجع نفسه، ج30، ص512.

المطلب السادس: التّشويق:

قال الله تعالى: {هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى} [النازعات:15].

الشرح:

والمقصود في الآية التشويق إلى الخبر، وجعل السامع في أشد حالات الترقب لما سيلقى إليه، حتى يكون أكثر وعيا لما سيسمعه.والخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم لقصد تسليته، ويندرج فيه كل من يصلح له. والمعنى: هل وصل إلى علمك أيها الرسول الكريم خبر موسى عليه السلام مع فرعون؟ إن كان لم يصل إليك فهاك جانبا من خبره نقصه عليك، فتنبه له، لتزداد ثباتا على ثباتك، وثقة في نصر الله تعالى لك على ثقتك.[1]

ويقول عزوجل: {هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ} [الغاشية:1]. فافتتاح السورة بهذا الافتتاح- بجانب ما فيه من تشويق- يدل على أهمية هذا الخبر، وأنه من الأخبار التي ينبغي الاستعداد لما اشتملت عليه من معاني لا يصح التغافل عنها.[2] وكون الاستفهام بهل المفيدة معنى (قد)، فيه مزيد تشويق فهو استفهام صوريّ يكنى به عن أهمية الخبر بحيث شأنه أن يكون بلغ السامع، وتقدم هنالك إطلاق فعل الإتيان على فشو الحديث. وتعريف ما أضيف إليه حديث بوصفه الغاشية الذي يقتضي موصوفا لم يذكر هو إبهام لزيادة التشويق إلى بيانه الآتي ليتمكن الخبر في الذهن كمال التمكّن.[3]

المطلب السابع: التّقرير:

قال الله تعالى: {أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحابِ الْفِيلِ * أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ} [الفيل:1،2].

---

[1]- محمد سيد طنطاوي، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، دار نهضة مصر، القاهرة، ط1، 1998م، ج15، ص269.

[2]- المرجع نفسه، ج15، ص373.

[3]- الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج30، ص294.

الشرح:

والاستفهام في قوله تعالى: أَلَمْ تَرَ ... للتقرير بما تواتر نقله وعلمه صلى الله عليه وسلم وعلمه غيره علما مستفيضا، حتى إن العرب كانوا يؤرخون بتلك الحادثة، فيقولون: هذا الأمر حدث في عام الفيل، أو بعده أو قبله، والمراد بالرؤية هنا: العلم المحقق. وعبر سبحانه عن العلم بالرؤية، لأنّ خبر هذه القصة كما أشرنا كان من الشهرة بمكان، فالعلم الحاصل بها مساو في قوة الثبوت للرؤية والمشاهدة.

والمعنى: لقد علمت- أيها الرسول الكريم- علما لا يخالطه ريب أو لبس، ما فعله ربك بأصحاب الفيل، الذين جاءوا لهدم الكعبة، حيث أهلكناهم إهلاكا شنيعا، كانت فيه العبرة والعظة، والدلالة الواضحة على قدرتنا، وعلى حمايتنا لبيتنا الحرام.

وأوقع سبحانه الاستفهام عن كيفية ما أنزله بهم، لا عن الفعل ذاته، لأن الكيفية أكثر دلالة على قدرته تعالى وعلى أنه سبحانه لا يعجزه شيء.

وفي التعبير بقوله: فَعَلَ رَبُّكَ ... إشارة إلى أن هذا الفعل لا يقدر عليه أحد سواه سبحانه فهو الذي ربى نبيه صلى الله عليه وسلم وتعهده بالرعاية، وهو الكفيل بنصره على أعدائه، كما نصر أهل مكة، على جيوش الحبشة وهم أصحاب الفيل؛ ووصفوا بأنّهم «أصحاب الفيل» لأنّهم أحضروا معهم الفيلة، ليستعينوا بها على هدم الكعبة، وعلى إذلال أهل مكة.

والاستفهام في قوله تعالى: أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ للتقرير أيضا أي: لقد جعل الله تعالى مكر أصحاب الفيل وسعيهم لتخريب الكعبة، في تَضْلِيلٍ أي: في تخسير وإبطال وتضييع، بأنّ تبرّهم سبحانه تتبيرا ودمرهم تدميرا. والكيد: إرادة وقوع الإضرار بالغير في خفية، وسمى سبحانه ما فعله أبرهة وجيشه كيدا، مع أنّهم جاءوا لهدم الكعبة جهارا نهارا، لأنّهم كانوا يضمرون من الحقد والحسد والعداوة لأهل مكة، أكثر مما كانوا يظهرونه،

فهم كما قال تعالى: قَدْ بَدَتِ الْبَغْضاءُ مِنْ أَفْواهِهِمْ، وَما تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَر... والمقصود بالتضليل هنا: التضييع والإبطال. تقول: ضللت كيد فلان، إذا جعلته باطلا ضائعا.[1]

ويقول جلّ وعلا: {هَلْ أَتى عَلَى الْإِنْسانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَذْكُوراً} [الإنسان:1]. والمقصود هَلْ أَتى عَلَى الْإِنْسانِ حِينٌ هَلْ إمّا بمعنى قد أي أقَد لأنّ الأصل أهَل ثم حذفت الهمزة، أو يكون الاستفهام بمعنى التقرير، وهو تقرير موجّه لمن أنكر البعث، يراد به انتزاع إقراره بهذه الحقيقة الأبدية فيقال له: من أحدث الإنسان بعد العدم؟ ونظرا لبداهة الجواب كان لا بد من (نعم) وإذا أقرّ بأن الخالق هو الله فكيف يمتنع عليه إعادة هذا الإنسان الذي خلقه أول مرة؟ فإنّ من قدر على إحداث شيء بعد أن لم يكن كان على إعادته أولى. لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَذْكُوراً الجملة حال من الإنسان.[2]

المطلب الثامن: التّعجّب:

قال الله تعالى: {فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ} [المدثر:49].

الشرح:

تفريع للتّعجيب من إصرارهم على الإعراض عن ما فيه تذكرة على قوله: (وما هي إلا ذكرى للبشر) [المدثر: 31]. وجيء باسم التذكرة الظاهر دون أن يؤتى بضمير نحو: أن يقال: عنها معرضين، لئلا يختص الإنكار والتعجيب بإعراضهم عن تذكرة الإنذار بسقر، بل المقصود التعميم لإعراضهم عن كل تذكرة وأعظمها تذكرة القرآن.

وفما لهم استفهام مستعمل في التعجيب من غرابة حالهم بحيث تجدر أن يستفهم عنها المستفهمون وهو مجاز مرسل بعلاقة الملازمة، ولهم خبر عن (ما) الاستفهامية.

[1]- محمد سيد طنطاوي، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، ج15، ص510،511.

[2]- وهبة بن مصطفى الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، دار الفكر المعاصر، دمشق، ط2، 1418هـ، ج29، ص281.

والتقدير: ما ثبت لهم، ومعرضين حال من ضمير لهم، أي يستفهم عنهم في هذه الحالة العجيبة، وعن التذكرة متعلق ب معرضين.[1]

وقال الله تعالى: {أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا} [مريم:77]. الاستفهام هنا للتّعجب، والمخاطب هو النبي، صلى الله عليه وسلم، ثم هو خطاب لكل من هو أهل للخطاب..

والتعجب، والعجب، هو من أمر هذا الذي كفر بآيات الله، ولم يؤمن بأن لهذا الوجود إلها خالقا، وربّا قائما على ما خلق ومع هذا الإنكار لله من هذا الكافر الجهول، يقسم بأنه سيؤتى فى الآخرة– إن كانت هناك آخرة– سيؤتى مالا وولدا، كما أوتي في هذه الدنيا، الكثير من المال والولد! هكذا يذهب الشيطان بأوليائه، تلك المذاهب البعيدة فى الضلال، ويقيم لهم حججا من الوهم والخيال، فهم كافرون بالله، إذا لم تكن هناك آخرة.. وإذن لا خسران عليهم من هذا الكفر.. وهم مؤمنون بالله إن كانت هناك آخرة، وإذن فلن يفوتهم حظهم الكبير إن كان للناس هناك حظوظ من مال وبنين!! (كَذلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ ما كانُوا يَعْمَلُونَ) [يونس:12].[2]

ويقول عزّوجلّ: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ} [البقرة:258]. يعني هل انتهى إليك يا محمد خبر الذي خاصم إبراهيم وجادله لأن ألم تر كلمة يوقف بها المخاطب على تعجب منها ولفظها استفهام كما يقال ألم تر إلى فلان كيف يصنع معناه هل رأيت فلانا في صنعه والذي حاج إبراهيم هو نمرود بن كنعان الجبار وهو أوّل من وضع التاج على رأسه وتجبر في الأرض وادّعى الربوبية أَنْ آتاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ أي لأن آتاه الله الملك فطغى وتجبر بسببه وكانت تلك المحاجة من بطر الملك وطغيانه.[3]

---

[1]- الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج29، ص329.

[2]- عبد الكريم يونس الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، دار الفكر العربي، القاهرة، دط، ج8، ص766.

[3]- الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، تص: محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1415هـ، ج1، ص192.

وفي قوله تعالى: {وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَاب} [ص:21]. فالاستفهام هنا للتعجب أي حمل المخاطب على التعجب،[1] ثمّ إنّ الآية مخاطبة للنبي صلّى الله عليه وسلّم، واسْتُفْتِحَتْ بالاسْتِفْهَام تَعْجِيباً مِنَ القصَّةِ وتفخيماً لها، والخصم يوصف به الواحد والاثنان والجمع، وتَسَوَّرُوا معناه: عَلَوْا سُورَهُ، وهو جَمْعُ (سُورَةٍ) وهي القطعةُ من البناء، وَتَحْتَمِلُ هذه الآيةُ أن يكون المتسوّر اثنين فَقَطْ، فَعَبَّرَ عَنْهُما بلَفْظِ الجَمْعِ، ويحتملُ أن يكونَ معَ كلِّ واحدٍ منَ الخَصْمَيْنِ جَمَاعَةٌ، والْمِحْرابَ المَوْضِعُ الأرْفَعُ مِنَ القَصْرِ أو المَسْجِدِ، وهو موضع التعبُّد.[2] وَفَائِدَةُ هَذَا الِاسْتِفْهَامِ التَّنْبِيهُ عَلَى جَلَالَةِ الْقِصَّةِ الْمُسْتَفْهَمِ عَنْهَا، لِيَكُونَ دَاعِيًا إِلَى الْإِصْغَاءِ لَهَا وَالِاعْتِبَارِ بِهَا.[3]

ولا شكّ أنّ التعجب من صفات الله عزّوجل، ولكنّه لا كتعجّب خلقه الذين يكون تعجّبهم لخفاء كنَهِ الأشياء وأسرارها. وقد ثبت في قراءة حمزة والكسائي في قوله عزّوجلّ {بَلْ عَجِبْتُ وَيَسْخَرُونَ} [الصّافات:12]. والمقصود بل عظم عندي وكبر اتخاذهم لي شريكاً، وتكذيبهم تنزيلي وهم يسخرون. وكذا ورد ما يُثبت تعجّبَ الله في الأحاديث الصحيحة كقول النبي صلى الله عليه وسلم: " يَعْجَبُ اللَّهُ مِنَ الشّابِّ لَيْسَتْ لَهُ صَبْوَة " وأيضاً قوله صلى الله عليه وسلم: "عَجِبَ رَبُّكُمْ مِنْ سُؤَالِكُمْ وَقُنُوطِكُمْ وَسُرْعَةِ إِجَابَتِهِ إِيَّاكُمْ" فأهل السّنة يثبتون التعجّب لله ويقرّون ذلك، ويقول الحسين بن الفضل: التعجّب من الله إنكار الشيء، وتعظيمه وهو من لغة العرب.

المطلب التاسع: التّسوية:

قال الله تعالى: {وَسَواءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُون} [يس:10].

---

[1]- أبو بكر الجزائري، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، مكتبة العلوم والحكم، السعودية، ط5، 2003م، ج4، ص442.

[2]- أبو زيد الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، تح: محمد معوض، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1418هـ، ج5، ص68.

[3]- فخر الدين الرّازي، مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط3، 1420هـ، ج26، ص377.

الشرح:

أي إنذارك وعدمه سواء بالنسبة إليهم، فحرف (على) معناه الاستعلاء المجازي وهو هنا الملابسة، متعلق بسواء الدال على معنى (استوى)...

وهمزة التسوية أصلها الاستفهام ثم استعملت في التسوية على سبيل المجاز المرسل، وشاع ذلك حتى عُدّت التسوية من معاني الهمزة لكثرة استعمالها في ذلك مع كلمة سواء وهي تفيد المصدرية. ولما استعملت الهمزة في معنى التسوية استعملت أم في معنى الواو، وقد جاء على الاستعمال الحقيقي قول بثينة:

سواء علينا يا جميل بن معمر إذا مت بأساء الحياة ولينها.

وجملة لا يؤمنون مبينة استواء الإنذار وعدمه بالنسبة إليهم.[1]

ويقول الله تعالى: {وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَتَّبِعُوكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُون} [الأعراف:193]. أي وَإِنْ تَدْعُوهُمْ أيّها المشركون إِلَى الْهُدى أي إلى ما فيه رشاد لا يَتَّبِعُوكُمْ أي إلى مرادكم وطلبكم سَواءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صامِتُونَ يعني أنّ هذه الأصنام لا تسمع دعاء من دعاها... وجوّز في الآية أن يكون المعنى: وإن تدعوهم إلى أن يهدوكم وتطلبوا منهم، كما تطلبون من الله، الخير والشرّ، لا يجيبوكم كما يجيبكم الله، لقوله تعالى: (فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ) [الأعراف: 194].[2]

وجملة: سواء عليكم أدعوتموهم أم أنتم صامتون مؤكدة لجملة وإن تدعوهم إلى الهدى لا يتبعوكم فلذلك فصلت.

وسواء اسم للشيء المساوي غيره أي ليس أولى منه في المعنى المسوق له الكلام والهمزة التي بعد سواء يقال لها همزة التسوية، وأصلها همزة الاستفهام استعملت في

[1]. الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج22، ص352.

[2]. جمال الدين القاسمي، محاسن التأويل، تح: محمد باسل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1418هـ، ج5، ص238.

التسوية... و(على) فيها للاستعلاء المجازي وهي بمعنى العندية أي: سواء عندهم. وإنّما جعل الأمران سواء على المخاطبين ولم يجعلا سواء على المدعوين فلم يقل سواء عليهم، وإن كان ذلك أيضا سواء عليهم، لأن المقصود من الكلام هو تأييس المخاطبين من استجابة المدعوين إلى ما يدعونهم إليه لا الإخبار.[1]

وفي قوله تعالى: {سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ} [المنافقون:06]. وسواء اسم بمعنى مساو يعامل معاملة الجامد في الغالب فلا يتغير خبره نقول: هما سواء، وهم سواء. وشذ قولهم: سواءين. و(على) من قوله: عليهم بمعنى تمكن الوصف. فالمعنى: سواء فيهم.

وهمزة أَستغفرْتَ لهم أصلها همزة استفهام بمعنى: سواء عندهم سؤال السائل عن وقوع الاستغفار لهم وسؤال السائل عن عدم وقوعه. وهو استفهام مجازي مستعمل كناية عن قلة الاعتناء بكلا الحالين بقرينة لفظ سواء ولذلك يسمي النحاة هذه الهمزة التسوية.[2]

المطلب العاشر: التّحقيق:

قال الله تعالى: {وما تلك بيمينك يا موسى * قال هي عصاي أتوكأ عليها وأهش بها على غنمي ولي فيها مآرب أخرى} [طه:17،18].

الشرح:

الجملة معطوفة على الجمل قبلها انتقالا إلى محاورة أراد الله منها أن يري موسى كيفية الاستدلال على المرسل إليهم بالمعجزة العظيمة، وهي انقلاب العصا حية تأكل الحيات التي يظهرونها. وإبراز انقلاب العصا حية في خلال المحاورة لقصد تثبيت موسى، ودفع الشك عن أن يتطرقه لو أمره بذلك دون تجربة لأن مشاهد الخوارق تسارع بالنفس بادىء ذي بدء إلى تأويلها وتدخل عليها الشك في إمكان استتار المعتاد بساتر خفي أو

[1]- الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج9، ص218.

[2]- المرجع نفسه، ج28، ص245.

تخييل، فلذلك ابتدئ بسؤاله عما بيده ليوقن أنه ممسك بعصاه حتى إذا انقلبت حية لم يشك في أن تلك الحية هي التي كانت عصاه.

فالاستفهام مستعمل في تحقيق حقيقة المسئول عنه. والقصد من ذلك زيادة اطمئنان قلبه بأنّه في مقام الاصطفاء، وأنّ الكلام الذي سمعه كلام من قبل الله بدون واسطة متكلم معتاد ولا في صورة المعتاد، كما دلّ عليه قوله بعد ذلك لنريك من آياتنا الكبرى[طه:23].

فظاهر الاستفهام أنه سؤال عن شيء أشير إليه. وبنيت الإشارة بالظرف المستقر وهو قوله بيمينك، ووقع الظرف حالا من اسم الإشارة، أي ما تلك حال كونها بيمينك؟.

ففي هذا إيماء إلى أن السؤال عن أمر غريب في شأنها، ولذلك أجاب موسى عن هذا الاستفهام ببيان ماهية المسئول عنه جريا على الظاهر، وببيان بعض منافعها استقصاء لمراد السائل أن يكون قد سأل عن وجه اتخاذه العصا بيده لأن شأن الواضحات أن لا يسأل عنها إلا والسائل يريد من سؤاله أمرا غير ظاهر، ولذلك لمّا قال النبيء صلى الله عليه وسلم في خطبة حجة الوداع: (أي يوم هذا؟) سكت الناس وظنوا أنّه سيسميه بغير اسمه. وفي رواية أنهم قالوا: (الله ورسوله أعلم، فقال: أليس يوم الجمعة؟...) إلى آخره.

فابتدأ موسى ببيان الماهية بأسلوب يؤذن بانكشاف حقيقة المسئول عنه، وتوقع أنّ السؤال عنه توسل لتطلب بيان وراءه. فقال: هي عصاي، بذكر المسند إليه، مع أن غالب الاستعمال حذفه في مقام السؤال للاستغناء عن ذكره في الجواب بوقوعه مسؤولا عنه، فكان الإيجاز يقتضي أن يقول: عصاي. فلمّا قال: هي عصاي كان الأسلوب أسلوب كلام من يتعجب من الاحتياج إلى الإخبار، كما يقول سائل لما رأى رجلا يعرفه وآخر لا يعرفه: من هذا معك؟ فيقول: فلان، فإذا لقيهما مرة أخرى وسأله: من هذا معك؟ أجابه: هو فلان، ولذلك عقب موسى جوابه ببيان الغرض من اتخاذها لعله أن يكون هو قصد السائل فقال: أتوكؤا عليها وأهش بها على غنمي ولي فيها مآرب أخرى. ففصل ثم أجمل لينظر مقدار اقتناع السائل حتى إذا استزاده بيانا زاده. والباء في قوله بيمينك للظرفية أو الملابسة.

والتوكؤ: الاعتماد على شيء من المتاع...والهش: الخبط، و(أهش) معنى أسقط على غنمي الورق فتأكله، أو استعملت (على) بمعنى الاستعلاء المجازي كقولهم: هو وكيل على فلان. ومآرب: جمع مأربة، مثلث الراء: الحاجة، أي أمور أحتاج إليها، وفي العصا منافع كثيرة.[1]

المطلب الحادي عشر: التّعجيز:

قال الله تعالى: {أَمَّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَكُمْ يَنْصُرُكُمْ مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِنِ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ} [الملك:20].

الشرح:

(أم) منقطعة وهي للإضراب الانتقالي من غرض إلى غرض فبعد استيفاء غرض إثبات الإلهية الحق لله تعالى بالوحدانية وتذكيرهم بأنّهم مفتقرون إليه، انتقل إلى إبطال أن يكون أحد يدفع عنهم العذاب الذي توعدهم الله به فوجّه إليهم استفهام أن يدلوا على أحد من أصنامهم أو غيرها يقال فيه هذا هو الذي ينصر من دون الله، فإنهم غير مستطيعين تعيين أحد لذلك إلّا إذا سلكوا طريق البهتان وما هم بسالكيه في مثل هذا لافتضاح أمره. وهذا الكلام ناشيء عن قوله: أأمنتم من في السماء... فهو معترض بين حجج الاستدلال. و(أم) المنقطعة لا يفارقها معنى الاستفهام، والأكثر أن يكون مقدّرا فإذا صرح به كما هنا فأوضح ولا يتوهم أن الاستفهام يقدر بعدها ولو كان يليها استفهام مصرح به فيشكل اجتماع استفهامين.

والاستفهام مستعمل في التعجيز عن التعيين فيؤول إلى الانتفاء، والإشارة مشار بها إلى مفهوم جند مفروض في الأذهان استحضر للمخاطبين، فجعل كأنّه حاضر في

[1]- الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج16، ص204،205.

الخارج يشاهده المخاطبون، فيطلب المتكلم منهم تعيين قبيلة بأن يقولوا: بنو فلان. ولمّا كان الاستفهام مستعملا في التعجيز استلزم ذلك أن هذا الجند المفروض غير كائن.[1]

ويقول الله عزوجلّ في سورة التكوير:{فَأَيْنَ تَذْهَبُون} [الآية:26]. والفاء لتفريع التوبيخ والتعجيز على الحجج المتقدمة المثبتة أن القرآن لا يجوز أن يكون كلام كاهن وأنّه وحي من الله بواسطة الملك...

و(أين) اسم استفهام عن المكان ويجوز أن يكون الاستفهام مستعملا في التعجيز عن طلب طريق يسلكونه إلى مقصدهم من الطعن في القرآن.

والمعنى: أنه قد سدت عليكم طرق بهتانكم إذ اتضح بالحجة الدامغة بطلان ادعائكم أن القرآن كلام مجنون أو كلام كاهن، فماذا تدعون بعد ذلك.

واعلم أن جملة «أين تذهبون» قد أرسلت مثلا، ولعله من مبتكرات القرآن وكنت رأيت في كلام بعضهم: أين يذهب بك، لمن كان في خطأ وعماية.[2]

المطلب الثاني عشر: التّقريع والتّهكّم:

قال الله تعالى: {قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيرًا} [الفرقان:15].

الشرح:

قُل تقريعاً لهم وتهكُّماً بهم وتحسيراً على ما فاتَهم (أذلك) إشارةٌ إلى ما ذُكر من السَّعير باعتبار اتَّصافها بما فُصِّل من الأحوال الهائلة وما فيه من معنى البعد للإشعار بكونها في الغايةِ القاصيةِ من الهول والفظاعة أي قُل لهم أذلك الذي ذُكر من السَّعير التي أعتدت لمن كذَّب بالسَّاعة وشأنُها كيتَ وكيتَ وشأنُ أهلِها ذيتَ وذيتَ (خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الخلد التى وُعِدَ المتقون) أي وُعدها المتَّقون وإضافةُ الجَّنةِ إلى الخُلد للمدحِ وقيل للتَّمييز عن

[1]- الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج29، ص40،41.

[2]- المرجع نفسه، ج30، ص164.

جنَّاتِ الدُّنيا والمرادُ بالمتَّقين المتَّصفون بمطلق التقَّوى لا بالمرتبة الثَّانيةِ ولا الثَّالثةِ منها فَقَطْ (كَانَتْ) تلك الجَّنةُ (لَهُمْ) في علم الله تعالى أو في اللوحِ المحفوظِ أو لأنَّ ما وعده الله تعالى فهو كائنٌ لا محالةَ فحُكي تحقُّقه ووقوعُه (جَزَاء) على أعمالِهم حسبما مرَّ من الوعد الكريم (وَمَصِيراً) ينقلبون إليه.[1]

الْأَمْرُ بِالْقَوْلِ يَقْتَضِي مُخَاطَبًا مَقُولًا لَهُ ذَلِكَ: فَيَجُوزُ أَنْ يَقْصِدَ: قُلْ لَهُمْ، أَيْ لِلْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ الْوَعِيدَ وَالتَّهْدِيدَ السَّابِقَ: «أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمِ الْجَنَّةُ» ؟ فَالْجُمَلُ مُتَّصِلَةُ السِّيَاقِ، وَالِاسْتِفْهَامُ حِينَئِذٍ لِلتَّهَكُّمِ إِذْ لَا شُبْهَةَ فِي كَوْنِ الْجَنَّةِ الْمَوْصُوفَةِ خَيْرًا... وخَيْرٌ اسْمُ تَفْضِيلٍ، وَأَصْلُهُ (أَخْيَرُ) بِوَزْنِ اسْمِ التَّفْضِيلِ فَحُذِفَتِ الْهَمْزَةُ لِكَثْرَةِ الِاسْتِعْمَالِ. وَالتَّفْضِيلُ... مُسْتَعْمَلٌ لِلتَّهَكُّمِ بِالْمُشْرِكِينَ.[2]

وقال عزوجل: {أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِير} [فصلت:40].

في الآية تَقْرِيعٌ عَلَى الْوَعِيدِ فِي قَوْلِهِ: لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنا لِبَيَانِ أَنَّ الْوَعِيدَ بِنَارِ جَهَنَّمَ تَعْرِيضٌ بِالْمُشْرِكِينَ بِأَنَّهُمْ صَائِرُونَ إِلَى النَّارِ، وَبِالْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّهُمْ آمِنُونَ مِنْ ذَلِك.

والاستفهام تقريع مُسْتَعْمَلٌ فِي التَّنْبِيهِ عَلَى تَفَاوُتِ الْمَرْتَبَتَيْنِ. وَكُنِّيَ بِقَوْلِهِ: يَأْتِي آمِناً أَنَّ ذَلِكَ الْفَرِيقَ مَصِيرُهُ الْجَنَّةُ إِذْ لَا غَايَةَ لِلْآمِنِ إِلَّا أَنَّهُ فِي نَعِيمٍ. وَهَذِهِ كِنَايَةٌ تَعْرِيضِيَّةٌ بِالَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ. وَفِي الْآيَةِ مُحَسِّنُ الِاحْتِبَاكِ، إِذْ حُذِفَ مُقَابِلُ: (مَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ) وَهُوَ: مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ، وَحُذِفَ مُقَابِلُ: مَنْ يَأْتِي آمِناً وَهُوَ: مَنْ يَأْتِي خَائِفًا، وَهُمْ أَهْلُ النَّارِ.[3]

[1]- أبو السعود العمادي، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج6، ص207.

[2]- الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج18، ص335.

[3]- المرجع نفسه، ج24، ص305.

ويقول جلّ وعَلا: {سَلْهُمْ أَيُّهُمْ بِذلِكَ زَعِيمٌ} [القلم:40]. فَالْاسْتِفْهَامُ مُسْتَعْمَلٌ فِي التَّهَكُّمِ زِيَادَةً عَلَى الْإِنْكَارِ عَلَيْهِمْ. وَالزَّعِيمُ: الْكَفِيلُ وَقَدْ جُعِلَ الزَّعِيمُ أَحَدًا مِنْهُمْ زِيَادَةً فِي التَّهَكُّمِ وَهُوَ أَنْ جَعَلَ الزَّعِيمَ لَهُمْ وَاحِدًا مِنْهُمْ لِعِزَّتِهِمْ وَمُنَاغَاتِهِمْ لِكِبْرِيَاءِ الله تَعَالَى.

المطلب الثالث عشر: الإيقاظ والتّنبيه:

قال الله تعالى: {فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ} [الطارق:5].

الشرح:

فالنّظر: نظر العقل، وهو التفكّر المؤدي إلى علم شيء بالاستدلال فالمأمور به نظر المنكر للبعث في أدلة إثباته كما يقتضيه التفريع على: إن كل نفس لما عليها حافظ [الطارق:4].

و(من) من قوله: مم خلق ابتدائية متعلقة بخلق والمعنى: فليتفكر الإنسان في جواب: ما شيء خلق منه؟ فقدم المتعلق على عامله تبعا لتقديم ما اتصلت به من (من) اسم الاستفهام. و(ما) استفهامية علقت فعل النظر العقلي عن العمل.

والاستفهام مستعمل في الإيقاظ والتنبيه إلى ما يجب علمه. وحذف ألف (ما) الاستفهامية على طريقة وقوعها مجرورة.

المطلب الرابع عشر: التّحريض:

قال الله تعالى: {مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ} [الحديد:11].

الشّرح:

والمعنى: أن مثل المنفق في سبيل الله كمثل من يقرض الله ومثل الله تعالى في جزائه كمثل المستسلف مع من أحسن قرضه وأحسن في دفعه إليه.

ومن استفهامية كما هو شأنها إذا دخلت على اسم الإشارة والموصول، والذي يقرض خبرها، وذا معترضة لاستحضار حال المقترض بمنزلة الشخص الحاضر القريب. وعن الفراء: (ذا) صلة، أي زائدة لمجرد التأكيد مثل ما قال كثير من النحاة: إن (ذا) في (ماذا) ملغاة، قال الفرّاء: رأيتها في مصحف عبد الله منذا الذي والنون موصولة بالذال.

والاستفهام مستعمل في معنى التحريض مجازا لأن شأن المحرض على الفعل أن يبحث عمن يفعله ويتطلب تعيينه لينوطه به أو يجازيه عليه.

والقرض الحسن: هو القرض المستكمل محاسن نوعه من كونه عن طيب نفس وبشاشة في وجه المستقرض، وخلو عن كل ما يعرض بالمنة أو بتضييق أجل القضاء. والمشبه هنا بالقرض الحسن هو الإنفاق في سبيل الله المنهي عن تركه...

والفاء في جملة (فيضاعفه له) فاء السببية لأن المضاعفة مسببة على القرض. والمعنى:التحريض على الإقراض وتحصيل المضاعفة لأن الإقراض سبب المضاعفة فالعمل لحصول الإقراض كأنه عمل لحصول المضاعفة...

ومعنى وله أجر كريم: أن له أنفس جنس الأجور لأن الكريم في كل شيء هو النفيس... وجعل الأجر الكريم مقابل القرض الحسن فقوبل بهذا موصوف وصفته بمثلهما.

والمضاعفة: مماثلة المقدار، فالمعنى: يعطيه مثلي قرضه. والمراد هنا مضاعفته أضعافا كثيرة.[1]

[1]- الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج27، ص377.

خاتمة

خاتمة

الحمد لله الذي أعان ويسّر، والصلاة والسلام على النبيّ الأغرّ الأطهر، وعلى آله وصحبه ومن اقتفى به الأثر وبعد:

فختام هذا البحث الذي يدور حول الاستفهام في القرآن، وبعد هذه الدراسة المتواضعة التي تناولت موضوع الأغراض الخطابية في الاستفهامات القرآنية وتحديدا ما نُسب منها إلى ربّ البريّة، يمكننا أن نصل إلى جملة من النتائج، أهمّها:

ـ أنّ الاستفهام يحوز على مكانة علمية تظهر من خلال اهتمام البلاغيين والنحويين وإحاطتهم به، على غرار الأساليب الأخرى.

ـ يُعدّ أسلوب الاستفهام من الأساليب البلاغية الغزيرة في النّص القرآني، مع تعدّد أغراضه كالأمر والتّعجّب والتّقرير والإنكار والتّسوية... وغيرها من الأغراض التي تتخطى المعنى الظاهر للسؤال.

ـ توضّح من هذه الدراسة أنّ الاستفهام في القرآن لا يُراد به في غالب الأحيان طلب العلم، وإنّما يكون أداة بلاغية للإرشاد، وإثارة التفكير، وتصحيح السلوك، وتقديم الحجّة، وتثبيت العقيدة.

ـ تبيّن من تتبّع استفهام الله عزّوجل في القرآن الكريم عدّة أمور منها: أنّ هناك تناغم بين اللّفظ والمعنى، أي أنّ الألفاظ تتناسب مع المغزى الإلهي من كل آية؛ وأيضا استفهامات ربّ البريّة تتميّز بعِظَم المكانة وسمو التعبير ورفعته، وغالبا ما ترتبط بأغراض ذات مقصد تأديبي وتنبيهي وتذكيري، يُوجِّهها الله لعباده لتصحيح عقيدتهم وتقويم سلوكهم وتدارك وضعهم قبل فوات الأوان.

ـ كما يظهر أنّ السياق يلعب دورا هاما في توجيه دلالة الخطاب القرآني، من خلال توضيح المعنى المقصود وتحديده، وكذا إزالة الإبهام الذي يظهر عند فهم النّصوص... ومن هنا نقول أنّ السياق القرآني هو الجزء الفاصل في تحديد الغرض

البلاغي للاستفهام، إذ نجد أنّ العديد من الاستفهامات القرآنية تحمل أكثر من غرض، والسياق هو الذي يحدّد المعنى المقصود بدقّة.

ولا يسعنا في نهاية هذه الدراسة إلى أن نُنوّه إلى أنّ الاستفهام القرآني مجال واسع شاسع للدراسة البلاغية وكذا اللّغوية، وما جاء في هذه المذكرة ما هو إلّا شيء يسير لايرتقي أن يكون إلاّ مدخلا وبداية بسيطة لأبعاد بحثية أشمل، نرجو استكمالها مستقبلاً.

نأمل أن نكون قد وُفّقنا في إتمام هذا العمل على الوجه المطلوب، لأنّ دراسة أي موضوع من كتاب الله عزّوجل ليس بالأمر السهل فهو يتطلب الكثير من الدّقة والتحري.

هذا والله أعلم، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

ـ القرآن الكريم، برواية حفص عن عاصم.

قائمة الكتب:

1ـ ابن الأثير، البديع في علم العربية، تح: فتحي علي الدين، جامعة أم القرى، مكة المكرّمة، ط1، 1420هـ.

2ـ ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، تح: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1422هـ.

3ـ ابن عبد الله أحمد شعيب، الميَسّر في البلاغة العربية، دار ابن حزم، بيروت، ط1، 2008م.

4ـ ابن قيّم الجوزية، الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة، تح: علي بن محمد الدخيل، دار العاصمة، الرياض، ط1، 1408هـ.

5ـ ابن منظور، لسان العرب، دار صادر،بيروت، ط3، 1414هـ.

6ـ ابن هشام، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تح: مازن المبارك/ محمد علي حمد الله، دار الفكر، دمشق، ط6، 1985م.

7ـ أبو الحسن الآمدي، الإحكام في أصول الأحكام، تح: عبد الرزاق عفيفي، المكتب الإسلامي، بيروت.

8ـ أبو السعود العمادي، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

9ـ أبو بكر الجزائري، أيسر التّفاسير لكلام العلي الكبير، مكتبة العلوم والحكم، السعودية، ط5، 2003م.

10- أبو حيّان الأندلسي، البحر المحيط في التفسير، تح: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، 1420هـ.

11- أبو زيد الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، تح: محمد معوض، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1418هـ.

12- أحمد الصيادي الرفاعي، أساليب بلاغية، وكالة المطبوعات، الكويت، ط1، 1980م.

13- أحمد بن إبراهيم الهاشمي، جواهر البلاغة، تح: يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، بيروت.

14- احمد بن فارس، مقاييس اللّغة، تح: عبد السلام هارون، دار الفكر، 1979م.

15- أحمد بن مصطفى المراغي، علوم البلاغة <البيان،المعاني،البديع>، دط، دن، دت.

16- بهاء الدين السّبكي، عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، تح: عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 2003م.

17- جلال الدين السيوطي، شرح عقود الجمان في المعاني والبيان، تح: ابراهيم الحمداني، لقمان الحبّار، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2011م.

18- جلال الدين السيوطي، معترك الأقران في إعجاز القرآن، دار الفكر العربي، القاهرة، 1969م.

19- جمال الدّين القاسمي، محاسن التأويل، تح: محمد باسل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1418هـ.

20- جمال الدين القاسمي، محاسن التأويل، تح: محمد باسل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1418هـ.

21- حامد عوني، المنهاج الواضح للبلاغة، المكتبة الأزهرية للتراث، مصر، دط، دت.

22. حسن بن إسماعيل الجناجيّ، البلاغة الصافية في المعاني والبيان والبديع، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، 2006م.

23. الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، تص: محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1415هـ.

24. الزمخشري، أساس البلاغة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1998م.

25. الزمخشريّ، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي، بيروت، ط3، 1407هـ.

26. السمين الحلبي، الدّر المصون في علوم الكتاب المكنون، تح: أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق.

27. صديق حسن خان، فتح البيان في مقاصد القرآن، تح: عبد الله الأنصاري، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، 1992م.

28. الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984م.

29. عبد الرحمان السعدي، تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان، تح: عبد الرحمان اللويحق، دن، ط1، 2000م.

30. عبد العزيز عتيق، علم المعاني، دار النهضة العربية، بيروت، ط1، 2009م.

31. عبد العزيز قلقيلة، البلاغة الإصطلاحية، دار الفكر، القاهرة، ط3، 1992م.

32. عبد الفتاح بسيوني، علم المعاني دراسة بلاغية نقدية، مؤسسة المختار، القاهرة، دط، دت.

33. عبد الكريم محمود يوسف، أسلوب الاستفهام في القرآن الكريم غرضه ـ إعرابه، مطبعة الشام، دمشق، ط1، 2000م.

34. عبد الكريم يونس الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، دار الفكر العربي، القاهرة، دط.

35. فاضل السامرائي، معاني النحو، دار الفكر، الأردن، ط1، 2000م.

36. فخر الدّين الرّازي، مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط3، 1420هـ.

37. فضل حسن عباس، البلاغة فنونها وأفناها علم المعاني، دار الفرقان، الأردن، ط2، 1989م.

38. المبرّد، المقتضب، تح: عبد الخالق عظيمة، عالم الكتب، بيروت.

39. محمد الأمين الشنقيطي، أضواء البيان، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1995م.

40. محمد بن علي الشوكاني، فتح القدير، دار ابن كثير، دمشق، ط1، 1414هـ.

41. محمد سيد طنطاوي، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، دار نهضة مصر، القاهرة، ط1، 1998م.

42. محمد قاسم، محي الدين ديب،علوم البلاغة، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس، ط1، 2003م.

43. مرتضى الزّبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تح: مصطفى حجازي وآخرون، دار الهداية، دط.

44. مصطفى الغلاييني، جامع الدروس العربية، المكتبة العصرية، بيروت، ط28، 1993م.

45. مناهج جامعة المينة العالمية، البلاغة 1 – البيان والبديع، جامعة المدينة العالمية، دط، دت.

46. الميداني، البلاغة العربية، دار القلم، دمشق، ط1، 1996م.

47. وهبة بن مصطفى الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، دار الفكر المعاصر، دمشق، ط2، 1418هـ.

قائمة المذكرات:

1. بن فرحات سامية، أثر السياق في توجيه دلالة الخطاب القرآني (مذكرة ماستر)، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، 2019/2018م.

الفهرس

الفهرس

مقدمة.....أ

الفصل الأوّل: الاستفهام

المبحث الأوّل: الاستفهام وأقسامه.....**5**

المطلب الأوّل: الاستفهام لغة.....5

المطلب الثاني: الاستفهام اصطلاحا.....6

المطلب الثالث: أقسام الاستفهام.....7

المبحث الثاني: أدوات الاستفهام.....**9**

المطلب الأوّل: ما يُطلب به التّصور والتّصديق معا.....11

المطلب الثاني: ما يُطلب به التّصديق فقط.....14

المطلب الثالث: ما يُطلب به التّصور فقط.....16

المبحث الثالث: الأغراض الخطابية للاستفهام.....**23**

المطلب الأوّل: الأمر.....23

المطلب الثاني: النّهي.....23

المطلب الثالث: التّعظيم.....24

المطلب الرابع: النّفي.....24

المطلب الخامس: الإنكار.....25

المطلب السادس: التّعجب.....27

المطلب السابع: التقرير.....28

المطلب الثامن: التّهكم.....29

المطلب التاسع: التّسوية.....30

المطلب العاشر: التّهديد والوعيد.....31

المطلب الحادي عشر: الاستبطاء.....32

المطلب الثاني عشر: الاستبعاد.....32

المطلب الثالث عشر: التشويق.....33

المطلب الرابع عشر: التّنبيه إلى الظّلال.....33

الفصل الثاني: نماذج من استفهامات ربّ البريّة

المبحث الأوّل: دلالة الخطاب القرآني.....36

المطلب الأوّل: أنواع الدلالات.....37

المطلب الثاني: أثر السياق في توجيه الخطاب القرآني.....38

المبحث الثاني: نماذج من استفهامات الله وأغراضها الخطابية.....39

المطلب الأوّل: الأمر.....39

المطلب الثاني: النّفي.....40

المطلب الثالث: الإنكار.....41

المطلب الرابع: التوبيخ.....44

المطلب الخامس: التعظيم والتهويل.....45

المطلب السادس: التشويق.....47

المطلب السابع: التقرير.....47

المطلب الثامن: التّعجب 49

المطلب التاسع: التسوية.....51

المطلب العاشر: التحقيق.....53

المطلب الحادي عشر: التّعجيز.....55

المطلب الثاني عشر: التقريع والتّهكم.....56

المطلب الثالث عشر: الايقاظ والتنبيه.....58

المطلب الرابع عشر: التحريض.....58

خاتمة.....61

قائمة المصادر والمراجع.....64

الفهرس.....70